



مايو ١٩٢٨ سماع الحكمة يحبزنا إليك العدد ٩ مجلد ٢

علاقة الانسان بالله

ليست مباشرة بل بالواسطة

الرأى الحديث

أولا — صور الانسان الله على مثال نفسه
ثانيا — أن الانسان حلقة في سلسلة الوجود
ثالثا — الرسل والانبياء مصلحون
يستمدون الوحي من مصوراتهم ابتغاء نفع
الانسانية وهدايتها
رابعا — لا غاية من وجود الانسان في الدنيا
وانه نتاج للنواميس المادية التي تضبط نظام
الكون وكذلك هو نهب لها

الرأى القديم

أولا — خالق الله الانسان على مثاله
ثانيا — ان الانسان خالق وحده مبدع
الله على سائر المخلوقات
ثالثا — ان الله أرسل الرسل والانبياء
ليهدوا الناس حبا فيهم وشفقة عليهم
رابعا — ان الانسان مركز الكون
ومحور دائرة الوجود

تحرير

منذ أن ترامى أول شعاع أرسل به الفكر ليجزا في انحاء هذا الوجود، شعر
الانسان بأن علاقته بما يحيط به من الاشياء ليست مباشرة، بل هي علاقة مستمدة
من قوة أخرى تسخر له الموجودات. فكان يرى في الشجرة القائمة وفي الجبل
الشامخ وفي البحر المتلاطم الامواج وسائط سخرتها له قوة غير مشهودة ولا مدركة
إلا في الوهم وخطرات الخيال، وان علاقته بما يحف به من الاشياء المادية انما هي
عبارة عن ارتباط روحي، ليس للمادة فيه أى أثر، وان هذا الارتباط الموقوت قد

تفصمه القوة التي أنشأته أول مرة فتزول الحياة بزوال ذلك الارتباط الوهمي. فكان
العلاقة التي تصورها الأولون بين الانسان والحياة كانت معلقة على واسطة هي قدرة
الغيب ، وان العلاقة المباشرة إنما تقع بين الانسان وبين تلك القدرة التي تسخر
الاشياء لخدمة الانسان ؛ وتسخر الانسان لخدمة ذاتها .

لم يسند هذا الاعتقاد بنشوء الاديان الكبرى. بل هو اعتقاد تأصل في النفس
الانسانية منذ أبعد العصور . وهو بعد طبيعي يلائم ظواهر الاشياء ويرضى نزعة
الفكر الى البحث في مصادر الاشياء وغاياتها . ومثله كمثل الاعتقاد القديم في أن
الشمس تدور من حول الارض وان النجوم مصاييح يعلقها الواحد القهار في القبة
الزرقاء اذا جن الليل ، وانها تخزن في مخازنه السرمدية اذا تنفس الصباح. اعتقاد
يرضى نزعة النفس في البحث وراء الحقائق وبوافق ظواهر الاشياء. اذن فلا دين
العظمى انتحلت هذا الاعتقاد عن الخيالات القديمة التي قامت في العقل الانساني
منذ أبعد الدهور، وقضت بان علاقة الانسان بالله علاقة مباشرة، وأن علاقته بالحياة
وبالموجودات المادية علاقة بالواسطة المستمدة من قدرة الله على تسخير القوى التي
تربط الانسان بالمادة الى زمان محدود وتحلها بقدر مقدور .

على هذا سارت الانسانية وعلى هذا قامت الاديان منذ أقدم العصور. ولا شبهة
مطلقاً في أن الاديان في انتحالها هذا الوضع عن معتقدات الاقدمين، انما تمثل الآن
ارأى القديم في علاقة الانسان بالله. ولهذا نمضى في شرح الرايين بقليل من الاسهاب
لنستطيع أن نقارن بينهما ونخلص بنتيجة نطمئن اليها .



الرأى القديم

أولاً — خلق الانسان على غرار الله

للانسان حواسه الخمس . وله شهواته وارادته وقدرته وعظمته وجلاله . وله
بجانب هذا بدوه ونهايته. هو يرى ويسمع ويشم ويلمس ويذوق. من هذه الحواس
الخمس التي هي نتاج للحياة ولتركيبه على الصورة التي هو عليها، تؤدي الى بقية الصفات
المتخالطة التي تشترك في ايجادها حاستين أو أكثر من الحواس. لهذا خيل للانسان

أنه كامل العدة ليسخر الطبيعة لامره. لانه يفكر وهي لا تفكر. ولانه يريد وهي لا تريد. ولانه قادر وهي عاجزة. ولانه متحرك وهي جامدة. وكل هذه القياسات النسبية تكونت في عقل الانسان الاول على صورة استمد منها معتقده في انه أكل الخلوقات وانه أرقاها خلقاً وأرومة. ومادام الانسان أكل الخلوقات التي ابدعتها القوة الخالقة، إذن فليس للقوة الخالقة أن تحتذى في خلق أكل الخلوقات الامثال الكمال الذي هو محصور في ذاتها. وعلى هذا خيل للانسان انه خلق على مثال الله لانه ذات كاملة ولأن الانسان كامل نسبياً بالقياس على بقية الخلوقات.

هذه الفكرة التي تلائم ظواهر الاشياء وتسير على نمط من المنطق الانساني جدير بان يرضى نزعة العقل في غرارته الاولى، انتحلتهما الاديان العظمى وبثتها في تضاعيف تعاليمها وغمي الناس بها قانعين.

ثانياً — الانسان خالق وحده

خلق الله الانسان على غراره وفطره على مثاله ! فكرة آئمة وخيال آسن ورثه أهل الاديان عن خيالات أهل العصور الاولى وادهج في كل الاديان المعروفة فكان للاديان من ذلك الخيال ركيزة استندت اليها في القول بان الانسان سيد الخلوقات لانه أرقاها وكفى، بل انه مالكمها الاوحد ومسخرها الاعلى الذي نفث فيه الله روح السيادة فكان على العجاوات والجمادات سيداً مطاع الامر رهوب الجانب ولا مريية مطلقاً في ان الفكرة الاولى، فكرة ان الانسان صورة مصغرة من الله، تؤدي بالعقل حتماً الى القول بان الانسان خلق وحده ونسبح في الطبيعة بذاته، لا يشاركه في هذه المنزلة شيء من الكائنات الاخرى حية أو غير حية. وبهذا انفصل الانسان عن الوجود المادي والحيوي، واصبح وهو حي يفتدى ويتزوج و يلد ويهرم ويموت كبقية الحيوانات، في عالم وحده، وان شارك هذه الكائنات في كل الصفات الاخرى التي لا تكون حياة بغيرها ولا يكون علم بشيء أو فكر أو خيال من غير أن يشاركها فيها الانسان.

وعلى الرغم من أن هذه الفكرة تلوح لنا بسيطة متعقولة، فانك من الصعب ان تقنع بها رجالا شحنت اذهانهم بآثار خلقهم فيهم الفكرة الدينية القديمة، على الرغم

مما استكشف العاملون في العلوم الحديثة من المبادئ والمشاهدات التي تجعل الاعتقاد بما اعتقد به أهل القرون الأولى ناييا عن محجة العقل والصواب . فإذا عرفت أن العقل الانساني كلما قلت معرفته بالمبادئ الثابتة في العلوم جنح الى التعميمات والى تطبيق القواعد الجزئية على الكليات ، أمكنك أن تعرف مقدار ما ثبتت هذه المعتقدات في أذهان الناس في العصور الأولى ، ومقدار ما أثرت في روعهم ووجدانهم على مر العصور

ثالثا - الانبياء والرسل

النبي مثال يحتذى والرسول مبلغ رسالة ربانية ، وكلاهما وسيلة للهداية وتعريف الناس ماهو الصراط المستقيم . على أن ظهور الانبياء والرسل كان محدودا في بقعة واحدة من بقاع الارض تحدها شمالا جبال طور وس وجنوبا صحراء اليمن وشرقا صحراء نجد وغربا بالبحر الاحمر . في هذه البقعة الصغيرة ظهر كل الانبياء والرسل الذين اختار الله أن يكونوا هداة للبشر منذ أبعاد العصور التي نزل فيها الوحي على قلب انسان . ولست تجد في ذلك من حكمة تقع عليها أو أثر للتدبير وحسن القصد . فهل كانت الشعوب التي ظهرت فيها الانبياء والرسل الذين حملوا رسالة من الله ، هي أكثر شعوب بالارض ضلالا وعدوانا ، واشدها كفرا وطغيانا ، ليستقوى الله عليهم بهذه المجموعة الكبيرة من الانبياء والرسل ؟ وهل كان سكان سوريا وجزيرة العرب أكثر استحقاقا لعناية الله من سكان الصين أو غرب أوروبا ؟ وهل هداية الشعوب التي سكنت هذه البقاع كافية لهداية شعوب الارض كافة اذا ما اهتموا ؟

حقا إن هذه الظاهرة وحدها كافية لأن تبعث العقل على التأمل والاسترسال في سلسلة طويلة من التفكير لا ينتهى بها الا حيث انتهى فلاسفة فرنسا في القرن الثامن عشر .

قد نتساءل كيف ترك أهل الهند نهبا لمذهبي بوذا وبراهما ، وأهل الصين غرضا لمذهب كونفوشيوس ، وأهل كل بقعة من بقية بقاع الارض خاضعين لاساطير وخرافات ما أنزل الله بها من نبي ولا رسول ؟ أكان هذا الحكمة لا تدركها

العقول البشرية ؟ هذا آخر ما يلجأ اليه اللاهوتيون ونهاية ما تنتهي اليه مجادلاتهم .
 ألم يقل لاهوتيو القرون الوسطى أن المعمور من الارض ينتهي الى حيث ذهب
 المبشرون لان في الكتب المقدسة ما يشير الى أن صوتهم سيذهب الى آخر
 المعمور من الارض ؟ ألم ينف القديس اوغسطين القول بنظرية الانقياب ، أى
 وجود خلأ في الناحية المقابلة للناحية التي نساكنها من كرة الارض ، لانه يتعذر
 عليهم رؤية المسيح هابطاً على الارض يوم القيامة ؟

كل هذه الاشياء تترتب على فكرة بعث الانبياء وارسل الرسل ، بل لانبالغ
 اذا قلنا بانها تفضي الى أشياء أكثر من هذه فكافة بفكرة الرسالة اذا ما استهيمتنا
 في دراسات لاشان لنابها في هذا الموطن . على أن هذه الدراسات قد فرغ منها أهل
 الفكرة الحرة في واحة الارض وانتبوا منها بنتائج سوف نأتى على شرحها بالايجاز في
 درج هذا المقال

رابعا - الانسان مركز الكون

كان من اثر ثلاثة المعتقدات السابقة أن تكونت في عقلية الانسان فكرة أنه
 مركز الكون ومحور دائرة الوجود . من أجله خلقت السماوات والارض ومن أجله
 سخرت الرياح والاشجار والحيوانات . ومن أجله وضعت الجبال لتلاطم به الارض
 ومن أجله جرت الانهار مترعة بالماء وغورت البحار لتصلح له جوكرته الارضية .
 ولعمرك أى شيء أكثر قرباً من بداهة العقل في غرارته الاولى من معتقد
 كهذا يقوم نتيجة لما ثبت في روع الانسان من انه خلق على مثال الله وانه خالق
 وحده ، يبرز على جميع الكائنات وأن الله حبا فيه وشفقة عليه ، اخذ يرسل اليه
 بالرسول تلو الرسول ليهديه الصراط السوى وليدخله وذراريه الى الجنة زمراً
 خالدين فيها أبداً . وانه أعد له هنالك الانهار تفيض عسلاً ولبناً وقصوراً بنيت
 بالفضة والذهب وحوراً عيناً لم يطمسهن قبله انس ولا جان ، ولدان عظامون
 يطوفون بالكواب من فضة ؟

هذا الاثر الذي خلفته هذه المعتقدات في عقلية الانسان في العمور الوسطى ،
 كان نتاجاً لمعتقدات ذاعت في ديانات الوثنية ، في بابل واشور والكلدان

ومصر والهند والصين ، و رمت اليه الميثولوجيا العربية قبل الاسلام والميثولوجيا اليونانية الرومانية قبل انتشار المسيحية ، فكان لهذه المعتقدات ركائزها التي ارتكزت عليها منذ اقدم العصور .

على انك اذا فكرت قليلا في فكرة الخطيئة وفي طرد آدم وحواء من الجنة وفي عقابيهما بالنفي الى الارض وارسال الشيطان اليها يجول في جوها ليضل إنسائها على مر القرون ، لما تصور لك بدياً الا أن الارض جحيم مصغر هبط اليه آدم ليكفر عن خطيئته ، فاخذ يكبد و يعمل في سبيل العيش وانه لم يسخر له من شئ في هذا الوجود ، وانه حلقة من حلقات الطبيعة يعيش في جوفها عيشة ذيرة من المخلوقات و يشاركها بداياتها ونهاياتها على صورة من الدقة لا تترك مجالاً للاعتقاد بانفصال وحدة الخلق بين الانسان وبقية الكائنات

ولكن هكذا اعتقد الانسان و بهذا بشرت له الاديان فراح يجري وراء هذه المعتقدات اشواطاً قطع في مضارها مسافات بعيدة ، اسلمت به في آخر الامر الى حيرة لم تنقذه منها الا مبادئ العلوم الطبيعية التي أخذت بزورها الحقيقة تفرخ في أوائل القرن السابع عشر .

ولقد كان لهذه المعتقدات اسوأ الاثر في تكييف العلم الانساني . فقد قيل بان الانسان لا بد من أن يعيش في مركز الكون مادام أنه محور دائرة الوجود والغرض الذي رمى اليه الله من خلق العالم ، فاعتقد بان الارض في الوسط وأن الشمس وبقية السيارات يدورن من حولها . وكانت هذه الفكرة الخاطئة سبباً في أن يضل الانسان في تيه قصي من الجهل المطبق ، اذ نزع العقل الى أن يطبق عليها كل الحالات التي يقوم عليها علمه وترتكز معرفته ، واتخذ الكسب المقدسة اسماً للعالم الانساني ، فقامت الاضطهادات تقتل روح الحرية وتبعد الناس عن اتباع الطريق الذي كان يسلم به حتماً ، كما أسلم به أخيراً ، الى تحديد علاقته بالله من ناحية وبالكون من ناحية أخرى .

الرأى الحديث

اولا - صور الانسان الله على مثال نفسه

بشرت الاديان، ولها في ذلك أكبر العذر، بأن الله خلق الانسان على مثاله وفطره على غرارهِ . ولهذا أسباب: أولها: ان الانسان أكل الكائنات نسبياً : ثانياً: ان الانسان لا يستطيع أن يخاص من تصوير ذات مريدة حكيمة إلا اعتماداً على ما يرى من ارادته وحكمته: ثالثاً . ان الوهم دفعه الى القول بان العالم مسخر له لان ارادته تستطيع أن تسخر الاشياء . الى غير ذلك من الاسباب التي يطول بنا القول فيها .

ولما منى الفلاسفة يفكرون في المادة والخلق ، وأخذوا ينظرون في حقائق الاشياء نظرة أوسع مدى من تلك النظرة التي حددتها مهمة الكتب المقدسة خلال العصور المظلمة، بان لهم أن ليس في الدنيا من شيء هو أبعد عن الحقيقة من الفكرة القائلة بتزويد الله بشيء من الخصائص الانسانية . وأخذوا يبحثون هذه الفكرة بحثاً مستقلاً عن علاقاتها المذهبية، فبان لهم أن هذه الفكرة على بعدها عن الحقيقة وعلى مناقضتها العقلية لما يسلّم به العقل قسراً عنه من الايمان بوجود صانع صنع الكون وأبدعه، فان الانسان لا يستطيع مطالما أن يدرك الصانع ادراكاً عقلياً ، وهو الحد المستطاع الذي يبلغ اليه في مثل هذه الحالات، إلا اذا قاس حالات القوة الخالقة بحالات نفسه. ووزج الصفات المادية التي يراها في نفسه بالصفات النفسية والاحياء التي أمد بها فكره، وراح يكون من مجموعها صورة قال بأنه خالق على غرارها وقطر على مثالها .

سميت هذه الفكرة في الفلسفة بالفكرة الناسوتية Anthropomorphism اي الفكرة القائلة بتزويد الله بالخصائص الانسانية. ولقد عني كثير من الفلاسفة الاعلام بان يبعدوا عن هذه الفكرة جهد استطاعهم لدى نظرهم في حقيقة القول بالالوهية. وكان أكثرهم جهداً الفيلسوف سبينوزا الكبير فانهى به البحث الى القول بان الله امتداد وفكر. Extension and Thought غير أن فكرته هذه ما لبثت أن نقضت اذ قيل « من أين أتى له أن الله امتداد إلا من النظر في حالات

جسمه الطبيعية، ومن أين أتى له أن الله فكر إلا بالنظر الى حالات عقله؟ ذلك لأن الامتداد والفكر من أخص الأشياء التي تتصف بها الاجسام والعقول .

اذن فلانسان غير قادر على أن يكون أية فكرة في الله بعيدة عن القياس على حالات جسمه وصفاته الطبيعية. وعلى الرغم من أن هذه الفكرة من أبعد الأشياء من الحقيقة، فإن الانسان مقسور عليها بحكم تكوينه الطبيعي الذي نعتقد أن العقل ليس إلا مظهرًا من أخص مظاهره. وعلى الرغم من هذا فإن المعتقدات القديمة بشرت بما يضاد هذه الفكرة وغرست في روع الناس أن البشر ملائكة مسخو اناسى جزاء الخطيئة، لا انهم حيوانات يتطلعون الى الاستعلاء الى عرش الملائكة !!

بهذا انقلبت الآية في القول بان الله خلق الانسان على مثاله، الى الاعتقاد الثابت بان الانسان قد صور القوة الخالقة العظيمة قياسا على الحالات التي أحس بها قائم في نواحي تكوينه جسمانيا وعقليًا. وهذا عندي أكبر دليل يقوم على خطأ الذين يقولون بان للاجماع أية قيمة في وزن الحقائق أو الوصول الحقيقة .



ثانيا - الانسان حلقة في سلسلة الوجود

ترجع الانسان على ذلك العرش الذي خلقه من وهمه وزينه له خياله طوال تلك العصر التي لم يستطع فيها العقل أن يبدى اقل شك في حقيقة الظواهر التي كانت تقع تحت حواسه . لهذا تمتع الانسان دهورا بفكرة أنه سيد الوجود وأنه محور الخلق ومركز دائرة النظام الكوني . ان طلعت الشمس أو غابت ، أو هملت السماء مدراراً أو رذاذاً ، أو انبتت الارض ثمرات حلوا أو مرراً ، أو جرت المياه عذبة أو اجلجا ، فأنما كل ذلك من اجله وللمتع بثمرات ما تجود به الطبيعة غير شاعر بأن ادنى الحشرات تمتع بما يتمتع به وأن الطير يمتاز عليه بانه يملك الهواء وهو لا يملك الا الارض . وعلى الرغم من أن العظاات البالغة قد أحاطت بالانسان منذ أقدم عصوره حتى اليوم ، فإن المعتقد القديم قد أعماد عن ان ينظر في الواقع المحسوس نظرة يمكن أن تبلغ من نفسه بمظلة أو تمحور من معتقده بما يجعله يرى الحق كما هو كائن . رأى الاحياء تشاركه في الاستمتاع بكل ما تجود به الطبيعة عليه . استمتعت بالشمس

و بالقمر و بالماء و الغذاء و الازهار و الاحجار و الهواء ، تلك الاشياء التي خيّل اليه زورا و وهما أنها لم تخلق الا من اجله .

لا ننكر أنه سحر البهائم و المعجونات و استقوى عليها بعد جهاد طويل ، غير أن البهائم كانت تفنى من حياته بقدر ما يفنى من حياتها ، وكانت الطيور خارجة عن سلطان تسخيريه . مر على الانسان عصر كان فيه من أضعف المخلوقات الحية سلطانا و أكثرها استكانة . غير أن هذا العهد لم تنشأ فيه مطلقا فكرة أن الانسان سيد الوجود . و الراجح أن هذه الفكرة لم تنشأ الا متأخرة مع ظهور المذنيات التي سبقت المذنيات القديمة . تلك المذنيات التي لم تترك وراءها من أثر اللهم الا تلك الحفريات التي بدأ يستعملها الانسان ليكون سيد الوجود و محور دائرة الكون !!

كانت موحيات الاديان في صورها الاخيرة آخر ما كفل هذا الرأي لترضه بلبان الكتب المقدسة و تفذيه بتفسيرات المفسرين لها . لهذا لا نتلصقا في القول بان المعركة التي دارت حول اصل الانسان ، هي في الواقع معركة قامت بين العلم و الدين ، فانتصر العلم و هزم الدين ، و نزل الانسان عن عرش الملائكة الى عرش الحيوانات ، و تبدل الانسان من نسبة السماوى باعتباره خلقا وحده أبدعه الله على مثاله ، الى انه حلقة من سلسلة الوجود كبقية حلقاتها ، بل نسي أنه يرجع باصله الى الجنة ، و اعتقد بأنه حيوان قابل للارتقاء ، بعد أن كان انسانا كاملا آخذا في الانحطاط .

ثالثا - الرسل و الانبياء مصالحون

لم يكن للانسان في العصور الاولى من يد في أن يسلم بمجموعة من ظواهر الاشياء كما وقعت تحت حواسه التي كثيرا ما خدعته ، و بمجموعة من الاوهام كانت في الواقع من الضرورات التي تسليه عن كثير مما في هذه الحياة من آلام و شقاء و لقد عمد في تكوين المجموعة الاولى الى اختباراته اليومية التي كانت تنقلها اليه حواسه . و عمد في تكوين المجموعة الثانية الى ذلك السر العجيب الذي هو من انحص ما تمتاز به النفس الانسانية ، عمد الى « الامل » يرمى به لا الى الحاضر ولا الى المستقبل القريب منه ، بل الى السرمد و الابد ، الى الخلود ، و الى اللانهاية .

لهذا تحدت التصورات التي كانت سبباني بث المعتقدات الدينية على مدى العصور في أشياء كثيرة أهمها

أولاً — اعتقاد الانسان ان علاقته بالله مباشرة وان لا واسطة بينه

بين الخالق

ثانياً — انه محور الوجود وسيد الاكوان

ثالثاً — أنه يرجع بحياته الى أصل ابدى و ينتهى الى لانهاية فهو خالد أولاً وآخراً

رابعاً — ان الله خالق العوالم من أجله وحددون بقية المخلوقات

خامساً — ان اهتمام الله بشأن العالم قد سخر كله فى سبيل صلاح الانسان

و خلاصه فى الآخرة

سادساً — ان الانبياء والرسل بشر مزودن برسائل وحيية لادنية، ترمى الى

سعاد الانسان فى الآخرة والاولى .

على هذه التصورات ، وعلى كثير غيرها مما يجرى مجراها ، قامت فى العقلية

الانسانية فكرة أن الله انما يصب كل ما فى معين المخلوقات من قوة وسر لا سعاد

الانسان ، فاذا ضل هداه ، واذا جاع غداه ، واذا عرى كساه ، واذا مرض أشفاه ،

واذا مات طهره من العلاقات المادية ثم أثابه أو جازاه . وعلى هذا قامت الفكرة

فى النبوة والرسالة .

ولقد أخذت هذه الفكرة فى التراجع شيئاً فشيئاً الى انها مجرد وسيلة لتعليل

ظاهرة النبوات والرسالات ، لما ازداد الانسان علماً بحقائق الوجود واسترار الخلق

وتفاصيل النظام الكونى . فلما ظنير للانسان فى العصور الاخيرة أن الارض التى

يسكنها الانسان ذرة بسيطة فى صحراء الوجود ، وانه لا يساوى أكثر من ميكروب

صغير جهد الصغر ، مقيساً بما فى الكون من عظام ، تراجع العقل الانسانى مرة أخرى

أمام تلك العظمة النظامية التى وقع عليها مستصغراً أمر العناية بالانسان فى جانب

من خلق هذه العوالم وأبدعها نظامها وسير نواحيها ، فترجع الى الاعتقاد بان الانبياء

والرسل مصنفون صادقوا الايمان فيما اتوا به من أوامر ونواهي ، قائمين بان فى اتباع

هذه الاوامر والنواهي رضا لبارى الاكوان .

على أن نظام الكون المادى الذى يعتبر الانسان فى الواقع حلقة من حلقاته ،

لا يتسع للاعتقاد بان الله يعنى بامر الانسان فوق الارض عناية تمتد الى أبعد من

تأثير النواميس التي بثها الخالق في المادة والقول بان وجود الانسان وفنائه راجع الى قواعد طبيعية مثل القواعد التي تحكم في ابسط الظواهر الكونية، وان نظام الطبيعة أبدى سرمدى، وأن المعجزة بمعناها المعروف، أى بمعنى أنها خرق لنظام الطبيعة الذي وضعه الله على أن يكون ما هو، غير مقبولة لاعتقلا ولا طبيعة.

وما منشأ الفكرة الدينية لدى الواقع إلا عجز الانسان عن تحديد علاقته بالله في العصور الاولى، وعدم قدرته على تحديد علاقته بالكون، اذا هو أراد أن يجعل لكل صفة من صفاته الانسانية وجهاً من العلاقة يحدده تحديداً تاماً. ولقد أخذ يتلمس الاسباب عقلا فلم يستطع ادراكها. لهذا نفر الى الايمان والاكتفاء من البحث بان يعلل كل شيء بقوله — «هكذا سبق في ارادة الله.»



رابعا - الغاية من وجود الانسان

هذا السؤال هو أعضل المشكلات وسر الاسرار.

اكتفت الاديان بالقول بأن الغاية من خلق الانس والجن هو أن يعبدوا الله. فكرة حسنة، ولكنها غير صحيحة. اذا لو صح هذا اذن لاعتقد بجانبه بان الله في حاجة لان يعبد الانس والجن، ولظهر النظام الكرنى في مجموعته بمتأخر شيء ما خلق إلا ليعضد الحياة الانسانية التي يجب أن تسخر لعبادة الله. وهذا في معتدى أبعد الاشياء عن أن يكون الغاية من وجود الانسان. لان في هذا من الغرارة بقدر ما في النظام الكونى من حكمة. ولا يتفق عقلا أن يكون الوجود طرفان أحدهما بالغ منتهى البساطة، والآخر بالغ منتهى الحكمة. بل ان العقل لا يسلم إلا بان الحكمة التي تقع عليها في نظام الكون لا تؤدي الى نتائج تخرجها عن الخير الذي يدركه الانسان من معنى الحكمة

ولقد تطورت هذه الفكرة على مر الازمان بتعارض المذاهب وبنشوء الفكرات التي كانت تتجدد بتجدد الزمان. على أن الانسان حتى اليوم لم يقع على فكرة يطمئن اليها في الغاية التي من اجلها وجد. فلا الاديان مهتات اليها السبيل ولا الفلسفة استطاعت أن تبلغ منها بقصد. وما المذاهب الفلسفية، وعلى الاخصي مذاهب الفلسفة التي ذاعت

في علم الاخلاق ، الاجهد بذلت الانسانية ، رمت به الى تحديد الغاية التي من اجلها يعيش الانسان . على أن العلم قد انتهى الى نتيجة يصح السكون اليها وان كانت من أبعد الاشياء عما تطمئن اليه النفس الانسانية . أنتهى الى الاعتقاد بان علاقة الانسان بالسكون علاقة مباشرة ، وأن علاقته بالله لا تأتي الا من طريق النواميس التي بشها الخالق في المادة ، وان الانسان باعتباره حلقة في سلسلة الوجود ، لا يمكن ان يكون لوجوده من غاية تخرج عن الغاية التي يرمى اليها نظام الكون في مجموعه . في حين أن الوصول الى معرفة الغاية التي يرمى اليها النظام الكوني ، يتعذر على العقل أن يصل الى ادراكها

فالانسان يجرفه تيار الوجود الى غايات يسعى اليها نظام الكون في مجموعه وهو لا بد بالغ الى نهايتها الأخيرة ، لا باعتباره الفردي ، بل باعتباره النوعي ، وان الانسان نتاج لتفاعل النواميس الطبيعية ، وكذلك هو غرض لها ، تربيته بكوارثها ، بيد ان تحبوه بنعائهما .

الخلاصة

نخلص من هذا كله بالتقول بان الانسان لا يمكن أن يعيش عيشة سعيدة فوق هذه الارض ، مادامت حقائق وجوده تتركز على ما أدلينا به من قول ، الا بان يعيش حرا عقلا وضميرا ، عالماً أن للطبيعة قوانينها التي يجب ان يخضع لها قسرا عنه بحكم وجوده ، وان يعتقد بأن نقائص هذه الحياة من لوازم كالاتها ، وأن آلامها من لوازم سماداتها ، وان النظام السرمدى أبدي لن يخرق قانونه ولن يختل ناموسه ، وانه كلما وسط العقل في الحكم على حقائق الاشياء كان أدنى الى التفاهم مع ما يحيط به من نظم وظروف ، وانه لن يكون أكثر شقاء منه اذا عمد الى العواطف ينصبها حيث يجب ان يستوى العقل على عرش الوجود الانساني . لهذا نقول ونقول بكثير من الايمان —

« حرر فكرك من كل التقاليد والاساطير الموروثة حتى لا تجدد صعوبة ما في رفض رأى من الآراء ، أو مذهب من المذاهب ، اطأنت اليه نفسك ، وسكن اليه عقلك ، اذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه اسماعيل مظهر

الامواج والشاطئ

سأل الشاطئ يوماً بحره أيها البحر: أجبنى كم حويئنا؟ ...
ود لو يكشف عنه سره بيد أن البحر قد حاول صمتاً

قالت الامواج للشاطئ ماذا تبتغى : من سؤالك
قال أنى ابتغى ما غاب عني : من مدارك
فأنثت عنه بجزر ساخره

ثم عادت باندفاع نحوه : في اصحاب خباب مثل رعد
عاليات ، هابطات ، ترمى : فوق صخر من صناد
وعلى الشاطئ جاءت نائرة

قل أنى رابض منذ وجدت : ووجدت
جاهلاً سرك ، إني لست أدري : ما احتويت !!!
فأنثت عنه بجزر ساخره

ثم عادت ثانياً وهى تقول : أنت سرى ، أنت سرى
سوف يحويك ضميرى : لاتسلى . أنت سرى
ولأسرارى أنى مضمره ...

واستمر البحر يمتد امتداداً وكذلك الموج يشمد امتداداً
ثم رد الالفق حينى حاسره

حسن كامل الصيرفي

الأدب العربي

وهل الأدب العربي إلا مجموعة مغالطات وأكاذيب مملوءة بالمغالاة ؟ ولا أقصد بالأدب العربي إلا معناه الأوسع . فمن أبسط الأشياء أن يلاحظ القارئ أن ما كتبه العرب ليس بالصورة الحقيقية الدالة على تأخرهم في المعرفة بالنسبة لتقدم زمنهم عن زمننا الحاضر ، بل تجدهم يتعمدون قلب الحقائق رأساً على عقب ، فيكيلون المدح جزافاً ويغرقون في الذم دون حساب شأنهم في كل شيء على وجه التقريب

أنك لو صدقت كما ذكره الأدب العربي على دلالته لتخيل لك أن كل عربي كان حاد الذهن سريع الخطاريات تنطق القصيدة الطويلة المكونة من مئات الأبيات « كما تلتقط الاسطوانة الطمطوقة من الغنى » . كذلك تعتقد أن دماغ كل عربي كون وفي داخله مقياس للنظم . وهذا ليس بمعقول فإن التاريخ والمشاهدات لا تبرران الاعتقاد بأن في وسع كل شخص نظم القصائد والمقطعات والأراجيز حتى لو فسرنا الشعر بأنه كلام مقفى وزون لأكثر . وهل في استطاعة الفلاح العادي نظم المواويل ؟ وهل يهتم الناس اجمعهم لضرب واحد من ضروب الحياة هو الاستسلام لعالم الخيال ؟ يقولون ان عنبرة كن ينشد القصائد فهل كان يكتبها ثم يزيد فيها ويحذف ؟ فإذا كان الحال كذلك وكان شعراء العرب كذلك لكانت نسبة التعاليم فيهم تزيد كثيراً عما يمكن تقديره خصوصاً وأن الزعم السائد هو أن كل عربي كان بالسليقة شاعراً مجيداً . أما إذا كان عنبرة وغيره يرسل الشعر ارسالاً لمناسبات دون أن يقيد حتى ولو على قطع العظام قصائده المطولة البديعة ، فهذا أمر يدعو الى الدهشة ليس لأن شخصاً واحداً أظهر هذا المظهر الخارق للعادة بضع مرات ، بل لأن دافة الشعراء وعددهم يزيد على رمال الصحراء ، كانوا دائماً حاصنين على هذه الموهبة الغريبة . وهنا اتساءل كيف تمكن الرواة من العرب التقاط القصائد المدينة وتناقلها واحداً عن آخر ؟ فهل كانوا يكتبونها بطريقة محتزنة ؟ وهل كانوا قد اكتشفوا فن الاختزال أم كان يملئ الشاعر

قصائده كلمة كلمة ؟ أما أن تقول أنه كان هناك رواية يتذكرون تمام التذكير
مائة ألف قصيدة من روى واحد بقافية واحدة — كما تقول كتب الأدب
— فاذن ما الذي تبقى من ذا كرتهم لتذكر القصائد المخالفة لهذا الروى والقافية ؟
ولقد يتسائل متسائل : من هو الذي نظم القصائد الضافية التي تعزى
للعرب الاميين وكيف نقلت اليها ؟ وهذا حق . وفي اعتقادي ان عهد العباسيين
على الخصوص وعصر الامويين لدرجة ما وكذلك المصور التي تلت العصر العباسي
هي التي نظم المتأدبون فيها هذه القصائد ثم رصدوها في بطون الاوراق بعد أن
نسبوها الى انباء شعراء جاهليين أو غير جاهليين أو شعراء تخيلا وجودهم والسبب
الرغبة في عدم معرفة الناس بشخصهم ، اما حفظا لسمعتهم أو ابقاء على حياتهم
واذا انتقلنا الى التاريخ نجدنا واقفين ازاء ما سبق ووقفنا حياله . فخطب
القائد نجدها مكتوبة بنصها أمامنا كأنما كان يتبعه رهط من السكركتاريين
المختصين . بنقل الخطب « الطويلة الممتلئة بلاغة » وكذلك قل عن خطب سفراء
العرب أمام كسرى وغير كسرى فهي في اعتقاد المتأدبين منقولة نقلا امينا
لا ينتقصها غير ذكر ما تفوه به كسرى ردا عليهم اذا كان كسرى قد وجد له متسعا
أو كان يحيط به بعض العبقرين كالعرب ينقلون ما نطق به عفو القريحة حرفا بحرف
ولكننا لم نعثر في تاريخ غير تاريخ العرب بما هو اشبه بهذا التخييل والله الحمد
وكانت الخلفاء تميز الشعراء والمهرجين بيد من الذهب الامر الذي لو حاولنا
تصوره في الوقت الحاضر مثلا في انجلترا لاصبحت بريطانيا العظمى اقتر منى .
تصور أن الملك جورج الخامس يسد فم كل شاعر وكل مهرج وكل سريع البديهة
من الانجليز ققط ، ولا اقول كل من قصده ببدرة من المال كلما انشد له بيتا من
الشعر يمدحه به ، ثم بعد ذلك احكموا على هذا الهذيان العربي
لننتقل الآن الى الجيوش التي يشبهونها بالغمام أولها في مدينة بالعجم واخرها
في مكة مثلا ، وحاولوا تصور كيف يرسل عمرو للخليفة في الحجاز مراكب موثوقة
باخبارات ردا على كتابه الذي قال فيه « فواغوثاه ثم واغوثاه » أولها عنده
(الخليفة) وأخرها في مصر

وتالله كيف يكون خراج مصر مئآت آلاف الآلاف من الدنانير قبل ألف سنة
 في حين أننا الآن لا نجمع ثلث هذه القيمة ومعلوماتنا الهندسية والزاعية تزيد
 أضمافا مضاعفة عما كانوا يعرفونه. هذا إذا كانوا يعرفون شيئا يستحق الذكر
 حقيقة وجيد في الامبراطورية الاسلامية في أوقات مختلفة رجال افاذا
 اغلبيتهم العظمى من غير العرب ولكن عددهم وما قالوه ليس كما يحاول العرب أو
 الناصرين لهم تفهيمنا اياه

وكذلك عدد الجمحافل قتلها لا تقل عن مائة الف فارس كأنيهم الاليوث
 العوايس يصلون ويجولون كأنما توصل العرب إلى وسيلة امكنهم بها خاق رجال
 حينما شاءوا . ومن الغريب انهم يسمون المناوشات حروبا فهل يقتل ان حربا
 يقوم أربعين سنة من اجل ناقة فيقولون انها ثارات لامناوشات ؛ ليكن
 هضمها على الاقل ؟

الريب

التصوف

بحث تحليلي انتقادي

١ - تعريف

(١) ماهو التصوف ومن الصوفي

قال رويم بن احمد البغدادي « التصوف مبنى على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل وترك الغرض والاختيار (١) » وقال الكرخي « التصوف هو الاخذ بالحقائق والياس مما في أيدي الخلائق (٢) » والجنيد « أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة » (٣) وسمعون « أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء » (٤) قيل للحصري « من الصوفي عندك ؟ » فقال « الذي لا تملكه الارض ولا تظله السماء (٥) »

« والصوفي واحد والجماعة صوفية ومن يتوصل الى ذلك متصوف والجماعة متصوفة »

(٢) مم اشتق الاسم ؟

يرى أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (توفي سنة ٥٣٨٧ هـ) ان هذا الاسم ليس بمحدث لان الحسن البصري الذي ادرك جماعة من الصحابة (توفي سنة ٧٢٨ م) رأى « صوفيا » يطوف بالكعبة. وأما الحقيقة الراهنة ففتبين من هذه الجملة « وجد الاسم حتى في زمن الجاهلية ولكنه لم يتخذ المعنى المتعارف بالصوفي كاحد رجال النظام الصوفي الحادث في الملة الاسلامية الا بعد تأسيس سلطاتها »

أضف الى ذلك ان الحسن البصري لم يكن صوفيا عريقا في التصوف وانما كان من زعماء المبتدئين الزهاد، ورؤيسا للمجالس الجدلية الفكرية حينئذ، ولم يضعه

(١) الرسالة التفسيرية في التصوف للقشيري — مطبعة دار الكتب في ١٢٨٧ هـ

ص ١٢٧ (٢) منه أيضا هي ١٢٧

(٣) كتاب اللمع في التصوف للسراج الطوسي (مطبوعة الاستاذ نيكلسون Nicholson

ليدن ١٩١٤) — ص ٢٥ — ٢٨

(٤) منه أيضا ص ٢٥ (٥) بروون أن أبا بكر قال « أي أرض تقاني وأي سماء تظاني »

القشيري في رسالته بين مشايخ الطريقة حتى ان اسمه لم يرد في كل الرسالة سوى خمس مرات . واما زعمهم ان التصوف وجد في عهد الرسول فاختلاق متصوفة العهد الاخير تبريرا لاعمالهم وارجاعا لها الى عهد الرسول واستنادا على مماشاة سنته الرضية (١) « وذهب بعضهم الى أن الاسم منسوب الى مسجد الرسول « صفة » وآخرون الى أنه اشتق من الصفاء أى الطهارة والعفة . قيل ان أصله صفوى نصحف « فصار صفوى » أو « الصف » زاعمين ان الله قد اختارهم ليكونوا قادة البشر وورثة الانبياء . واكثر القائلين بهذه الآراء من المتصوفة أنفسهم .

و يقول الطوسي « و الا ظهر فيه انه كالتب واما قول من قال انه من الصوف فذلك وجه . ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف » و يقول القشيري « لاشهيد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس ، والظاهر انه لقب ، ومن قال اشتقاقه من الصفاء أو الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي وكذلك من الصوف لان القوم لم يختصوا بلبسه » (٢) .

وأما الباحثون المستشرقون فيميلون الى اشتقاقها من الصوف . وقد جارى العلامة ثيودور نلده Noldke الالماني القشيري حينما رفض رأى القائل باشتقاقها من الصفاء أو الصف أيضا لاسباب لغوية .

وقد حاكى العلامة نلده والاستاذ نيكلسون ابن خلدون في قوله « والافاهر انه قيل بالاشتقاق انه من الصوف . وهم مختصون بلبسه في الغالب لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف (٣) »

واذن بات من الراسخ لدى العلماء اليوم ان الاسم مشتق من الصوف وان القوم اختصوا بلبسه تميزا لانفسهم عن الطبقات التي اركنت الى البذخ وانغمست في الترف .

وقبل ان نترك هذه النقطة نورد رأيا مغايرا لكل ما ذكر آنفا وهو رأى العلاقة Vou Hammer « قون هامر » الذي يرى ان أصل الكلمة يوناني مشتق

(١) Literary history of the Arabs, R. A. Nicholson (London, 1923) P. 722

(٢) مقدمة ابن خلدون « بولاق ١٢٨٥ هـ » - منقولة عن القشيري - ص ٣٩٠

(٣) « « « ص ٣٩٠

من كلمة «سونس» ومعناها الحكيم Wise ولكن العلامة نلذكه المشهور تقض
هذا الزعم في سنة ١٨٩٤ م أيمن كان استاذاني جامعة شتراسبورغ Strassburg
٣ - أول من استعمالها وأول من أطلقت عليه

يظهر أن أول من استعمالها من كتاب العرب هو الجاحظ (توفي ٨٦٩ م)
في كتاب البيان والتبيين بقوله «الصوفية من النساء» على أن كلمة «لبس الصوف»
وردت (كما قل نلذكه) كثيرا في آدب الجاهلية وكان معناها «ابتعد عن
زخرف الدنيا». ولكنها تخصصت وضاق نطاقها بعد الإسلام وصارت تطلق
على تلك الفئة الخاصة.

وأما أول من أطلقت عليه هذه اللفظة فأبوا هاشم الكوفي (حوالي ٧٧٨ م)
لدى عاش في تكية الزمالة (فلمطين)
والظاهر أن هذه اللفظة جاءت (بمعناها الخاص) في دور الانتقال والتحول
من الزهد إلى التصوف في نهاية القرن الثاني للهجرة (١).

ب - التصوف والزهد Asceticism-Mysticism

١ نشوء الزهد

قال ابن خلدون في المقدمة «الصوفية من العاوم الشرعية الحادثة في الملة .
وأصلها المكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاعراض عن زخرف
الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاد والافراد من الخلق في الزمالة
للعبادة وقد كان ذلك فاشيا في الصحابة والسلف . ولما عم الاقبال على الدنيا
في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختصر المتبعين على العبادة
باسم الصوفية أو المتصوفة .»

وهذا زبدة مانودان نقوا ، فإن الزهد حقا كان قشيا بين العرب حتى في جاهليتهم
ولكنه زيا في وقت النبي وبعده مع أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يأمر بالانقطاع عن الدنيا

(1) Encyclopaedia of Religion and Ethics (Edited by James Hastings 1291) vol. XII, P. 10. - Sufism - by Nicholson.

حتى ان لفظة زهد لم ترد غير مرة واحدة في القرآن (١) . ويعتقد نيكلسون ان المسيحية كانت ذات تأثير شديد في نشوء الزهد قبل الاسلام وبعده مستدلا بشواهد من الآداب الجاهلية . حتى انهم فسروا نشوء جماعة الخنفاء مفردتها - حنيف - امثال ورقة ابن نوفل (ابن عم خديجة زوجة رسول الله الاولى) واضرابه الى تأثير رهبان النصارى ونساكهم .

قد تكون المسيحية من العوازل الفعالة في نشوء الزهد الجاهلي فقد كان بعض الخنفاء نصارى مثل عثمان بن الحويرث (٢) . ولما كنا نستبعد ان تكون أظهر من الاسلام في تأثيرها بعد مبعث الرسول . فهو واصحابه وخلفاؤه كانوا قدوة الزاهدين العابدين . والشواهد على ذلك مشهورة وكثيرة لاحاجة لتعدادها الآن

٢ - الفرق بين الزهد والتصوف

اذا وضعنا نصب اعيننا الفكرة القائلة بنشوء التصوف من الزهد ايقنا ان هذا الفرق ضئيل غير واضح منذ البداية . ولكنه بدأ يظهر لما تطورت الصوفية ودخلت اليها العناصر الاجنبية . ولا يفوت الباحث من هذه الفروق ما يأتي .

أولاً - فرق في الغاية . فلزاهد الذي ينصرف عن الملذات الدنيوية وينكر نفسه وشهواته ويتحمل مرارة الجوع والعطش ، لا يفعل ذلك الاطمعا في الآخرة وجنات النعيم . وأما الصوفي فلا يرجو من ذلك شيئاً وإنما همه الوقت الحاضر ، وهدفه معرفة الله والاتصال به (٣)

ثانياً - فرق في الفكرة . فلزاهد دوماً محوط بجلال الله وجبروته وبطشه وعقابه والصوفي ناعم البال في رحمته ولطفه وكرمه وفوق كل شيء « محبته » .

ثالثاً - فرق عام . وهو ان الزهد عام في جميع الاقطار والاعصار في كل دين وجيل أما الصوفية فتزعة خاصة ولديها عوامل شتى في الظروف خاصة تحت راية الاسلام .

(١) Encyc. of Rel & Eth., Vol. II, P. 99, - Aceticism - by Nicholson.

(٢) تاريخ ابن هشام ص ٧٦ تم ٩٤١ P. Nicholson, L. history of the barabs,

(٣) مثال ذلك ما روى عن ربيعة المدوية المتصوفة :

أتحبين الله؟ نعم أتعلمين الشيطان؟ فقالت ان حبي لله لا يترك متسماً من الوقت لالمنه فيه . رأيت النبي في المنام فقال لي « أي ربيعة: أتحمينني؟ فقلت له ومن ذا الذي لا يحبك يا رسول الله . واسكن حبي لله لا يترك مجالا في قلبي لحب مخلوق أذكره »

نما الزهد اثر الحروب الاهلية ومقتل عثمان الذي ادمى قلوب المتدينين والنساک . أخنف الى ذلك اشتداد الغطرسه العسكرية الاموية وتطاحن الاحزاب وتضارب الفرق . وكان الناس — اقرب عهدهم في الدين — موقنين ان الله لا يترك الناس في هذه الفوضى دون هاد أو رسول وقد انتظروا هذا في «المهدي» وحملت فكرة ظهور المهدي كثيرين على اعتزال الحياة ريثما يعود السلام الى العالم .

أجل . اثرت هذه العوامل في عقلية زهاد المسلمين كما اثرت نظائرها في زهاد النصارى قبلهم فنظروا الى القوة الآلهية وايقنوا ان البذخ والترف بدعة وتحققوا أن الدائم الذي لا يفنى والحقيقة التي لا تبلى هي الاتصال بالله .

وكان الحسن البصري طيابة عهد بني أمية أشهر رجالهم ويصبح اعتباره مؤسساً للمذهب البصري في الزهد . فالتصوف (١) اذ كان لهم اجتماعات يظن أنه كان يرأسها (٢)

٤ حياة الزهاد

رغمًا عن أن القرآن (سورة الحديد الآية ٢٧) يعد الرهبنة بدعة في النصرانية بقوله : « ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الابجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها . . . الخ » ورغمًا عن أن النبي (صاعم) قال « لا رهبانية في الاسلام » . رغمًا عن هذا كله ، فإنه عند نهاية القرن الثاني للهجرة ، تأسست فرق من الزهاد تأوي الى « المقامات » و« المرات » وعاشوا عيشة فيها شبه من الرهبنة النصرانية .

واتهاما للبحث ند كر كلمتين عن معيشتهم وممارستهم :

أولاً — اللباس : يقول نلدكه ان الصوف والاردية المصنوعة منه كان فاشيا في الجاهلية و بعد الاسلام . لبس القوم الجبة أو المدرعة وتضيف المرأة اليها

(١) قوت القلوب لابي طالب المكي (طبع مصر ١٣١٠ هـ) ج ١ ص ١٢٠ و ١٦٦

2 Encyc. of Rel., and Eth., vol II, P101 - Nicholson

الحمار . ولبسوا كذلك ابرانس الطويلة والارديه كما لبسوا الازار
واخف والفرو .

ثانياً — الطعام . « أوصي ابراهيم بن الادهم بطعام من الخبز الساخن والزيت
وفضل شيرد الخبز والملح وانقطع بعضهم عن اكل اللحوم جملة . وكانوا ينذرون
الصوم من نوع من انواع الطعام مخصوص كالتمر مثلاً ويرغمون ان في ذلك تقرباً
من الله تعالى (١)

وكانوا يصومون في غير رمضان . ويقال ان بايزيد البسطامي عرف الله جل
وهلا بالجوع والعري (٢) . وأما اشهرهم في الصوم فسهل بن عبد الله التستاري
(٨٩٦م) وقد اعتقد المتصوفة المتأخرون ان « الانسان الصمداني لا يأكل غير
مرة في ثمانين يوماً » (٣)

ثالثاً — الصلاة . لم يكتفوا بالصلوات الخمس المفروضة بل عمدوا الى القرآن
يستمدون نوحى والالهام فوجدوها في « واذكروا الله كثيراً » وغيرها من
الآيات فابتكروا أنواع جديدة من العبادة والذكر كتكرار اسم الجلالة أو آية
شريفة مرات عديدة متوالية بنغمة خاصة وصوت خاص .

ويقول القشيري ان هذا من ضروريات الدين الحقيقي . والذكر باللسان
كذلك كمر بالقلب ضروريان .

الجامعة الامريكية في بيروت عبد اللطيف الطيباوى

(١) لوائح الانوار للشيخ عبد الوهاب الشمراني ج ١ ص ٦١

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٦

(٣) الرسالة القشيرية ص ٨٧ - ٧٩ وللوقوف على تفاصيل اخرى راجع احياء علوم الدين
القرنالى (طبع مصر ١٢٨٩هـ) الجزء الثالث ص ٨٧ .

الحياة والموت

تقرأ فيما بعد قصيدة عصماء ألفت أبياتها لا من الكلمات والجمال، ولكن من عناصر الحياة تنطق عن حكمة السنين الطوال، وتجارب الدنيا المريرة. هي في الشعر منهل سهل، وفي الحياة وصف صادق، وفي العظة حكمة بالغة. وكفى أنها مما أوحى به قريحة شاعر العراق الكبير السيد جميل صدق الزهاوي وقد أودعها من وصف الدنيا، ومن الحياة والموت، وهما أجدر الحقائق الدنيوية بالذكى، ما توحى حياة مليئة بالتجارب والمعظات

- ١ -

كل ما تبتغيه منا الحياة هو ان لاتصيبها النكبات
وهي ان نأبها الأذى قتادى لم يطل للايلاف منها الشكة
حسبها ان تكون بين تضاعيف أذاها في ساعة لذات
انها وحدها السعادة الا أنها ملها طويلا ثبات
انما في الحياة جمع لما شئت وفي الموت للجميع شتات
غير ان الحياة ليست سواء فهي اما نعم واما اذاة
ولها ان راقبتها من قريب حسرات ومثلها سيئات
حبذا لو كانت لصاحبها قد غلبت سيئاتها الحسنات
أنا راض عنها وان تك قد حا قت أخيراً منهاجى الويلات

- ٢ -

طب بعيش به الحياة تجود انها ان تصرمت لاتعود
إغتنمها فانت بعد قليل جنة تحتوى عليها اللحد
حبذا أحلام الحياة حسناً والامانى جنة والوعود
انما في الهواء طلقاً لمن يحيا وفي نور الشمس عيش رغيد
والذى يجمع العنادل تشنو ويرى ازهار الربيع ضعيد

انت في مخصب من العيش ترى قل فإذا من بعد هذا تريد
كل ما يبسط الحياة صديق لك اما ما غمها فالود
ولقد لا تسر شيخاً حياة هو منها ذاك القريب البعيد
وإذا ما ملئت ارضاً ومنها سرت تبغى أخرى فانت ارشيد
كل شيء اذا نزلت بلاداً لم تطأها قبلا فغض جديد
لا تقل للجمال في الارض حد ليس في الارض للجمال حدود

— ٣ —

أبصر الدوخ انه فينان وانظر الزهر انه فتان
وارمق المورقات خضراً جلاهن من الليل عارض هتان
واسمع الورق فوق افنانها المله تغنى كأنهن قيان
ليس ما تبصر العيون بأبقى روعة مما تسمع الآذان
وكان الرعد الملمع ليلاً هو ضحك الطبيعة الرنان
وكان البرق المألئ فيه هو للحسن باسم عنوان
وكان النجوم حين تراها أوثو في السماء أو مرجان
وكان الصباح ساءة يبدو مسفراً خود جسمها عريان
وكان الشمس المضيئة تنو ر تلظى في جوفه النيران
كان الاشياء بعد جفاء، قد أرادت ان يسعد الانسان

— ٤ —

عترت نفسي هزة الافراح حينما بان لي بياض الصباح
ولقد كان قبله الليل يدجو قابضاً للقلوب والارواح
وتلوح النخيل في عدوة دجلة للناظرين كالأشباح
وعليها الحمام يهتف شجواً ولعل اهتاف صنو النواح
حبذا الصبح ماسحاً لظلام الليل عن حر وجهه الوضاح
وكان الصباح غدراء فكت عن نصيح قد بضزر الوشاح
ثم مرت بالروض تنصت فيه لأغاريد البلبيل الصдах

بسمت للاقاح بعد سلام واحتفت بالجورى بعد الاقاح
أخذت قبضة من النور فيا ضاً والقت به على الادواح

— ٥ —

ما زمان الشباب الا ربيع فيه نور يزهر ونبت يضوع
طلعت للسرور فيه نجوم ثم خابت عنى فعز الطلوع
وكان الشباب للجدل الدا ثم واللهم والهوى ينبوع
لم يزل بي إلى الشباب وأيا م له قد ذهب عنه نزوع
حبذا لو يكون لى بعد أن ولى شبابى يوما اليه رجوع
ما أحب الحياة عندي وان كا فت بأحشائي اليوم منها صدوع
انها لا تزال مالكة تا مرني أن أطيعها فأطيع
هى أفراح مرة وهموم وابتسامات تارة ودموع
لم يحجب الى عيشى الا أمل غامض الحدود وسيع

— ٦ —

كل ما حف بالحياة جميل غير أن البقاء فيها قليل
شجر باسق تغنى طيور فوق أفنانه وظل ظليل
وتلى مقرب من الدوح يجرى فى جدول سكب ماؤه سلسبيل
وبساط نسيجه الزهر قد جرت عليه من الرياح ذيول
تطلع الشمس فى الصباح فتعالو فى سماء زرقاء ثم تميل
فاذا ما علت يسر غدو واذا ما مالت يطيب الاصيل
نحن لولا الحياة كنا جماداً ماله إحساس ولا معقول
ولعل الجمال فى النفس منا وبها للخفاء عنه ذهول
وكان الاشياء قد خلقت لى غير أنى عنها بها مشغول

— ٧ —

يا حيائى أنت الحقيقة عندي فيك حتى أموت نحس وسعدى
أيها الليل إننى من مكانى لسلامى إلى نجومك أهدي

أيها البدر كنت تطلع قبلي
أيها البرق في السحاب تألق
أيها الصبح أنت أجمل شيء
أيها اليوم موسم أنت نغم
أيها الشعر أنت أشجى غناء
ليس شعر يقوله شعراء
إنما الشعر ما إذا انشدوه
أو أثار الشعور في سامعيه
ولقد غاب القوم في سرهم إذ

— ٨ —

سبقت لي سعادة وشتاء
ولقد هونت على النفس مني
خير أني وهنت في كبري عن
ثم أني ما زلت صبا بها
انني لم أزل أشاء بقائي
ذهب الصيف والربيع سريه
ونجت للشتاء ناري إذا لا
وسألتني منيتي عن قريب
مالنفس تخشى لقاء المنايا
الأنني إذا هلكت عداني
وإذا الأرض في غد بلعتني
أبعدوا عني كل شيء فاني

أيها البدر سوف تطلع بعدي
أنت سيف مجرد ذو فرند
لسروري جماع يعيد ويبدى
شغل الناس بين أخذ ورد
أنا فيه أثبت صادق وجدى
قلدوا من تقدموهم بمجدي
كن يستنبح الشعوب ويبدى
مثل لحن من ذي أغاني يشدى
في إذا ما طاروا معاً طرت وحدي

— ٩ —

أيها الموت إنما أنت آتى
أيها الموت أنت من بعد حين
أنت يوماً مجردى من حياتي
مخرجي من نور إلى الظلمات

أيها الموت فيك بعد قليل
ما حيأتني إلا كساسة أنت سد
وسياتني يوم سأحرم فيه
وسيدلي في جوف قبري جسمي
أنا من بعد ما سأهبط قبري
أيها الموت أنت حزن لا صبح
أنت للبعض من أجل الرزايا
كم بطفل نجعت أمارؤوما
كم تخرمت بين زمر ورقص

— ١٠ —

عبثاً قد حاولت أن لا أموتا
عبثاً قد جمعت خوف ضياع
بعد ثلاث المسومات عراباً
ينكر العقل أن تدوم حياة
وهو بعد اختباره موشك أن
قد بدت لي حقائق غير اني
حان لي أن أردى فتحمل نفسي
حينما التفت اشاهد امامي
وأرى النار في يد تناظلي

— ١١ —

أيها الموت انما أنت تاسي
أيها الموت ما نخطبك إن حا
تغري الناس إن مررت عليهم
طالما قد أقت في زدهة الدا
وتقلب الذين عاشوا بنعم
أيها الموت رافة بالناس
ق مرد ولا لجرحك آسي
وقفة في القلوب والأنفاس
ر المناحات موضع الاعراس
من قصور شهم إلى الارماس

وكأني اذا هلكت جماد
بي لآتمشي بعد ذلك رجلى
ما لما قد بنيت من صروح
للأمانى نعمة من أساس

— ١٢ —

أنت ياموت بالجميع تحقيق
أنت تستهوى كل فرد فيغنى
وب حر اذا تجاهر بال
أيتها الموت استبقنى للقوافي
ليس بي نازعا الى الهلك يوماً
لست أدري إذا اتبعتك في
أى حزن به يحسن ويرح

ما نجا حتى اليوم منك رفيق
واذا ما أغنى فلا يستفيق
يحق يقولون كافر زنديق
أنا ياموت بالبقاء خليف
نسب لي في الهالكين عريق
يرى الى أين بي سيفضى الطريق
عند ما يدفن الصديق الصديق

— ١٣ —

أنت كاللص قاحم للقصور
تنزع المثرى السعيد من الأص
تاركا خلفه يتامى صفاراً
ومن القصر تنقل السيد الض
أنت ذئب الأكوخ تخطف أطفنا
نازعا للصغير من عضد ال
فرويداً ياموت انك قد
تتهزى على الجماجم تدمى
مالما قد قضيته من مرد

هاتك في جرأة للمستور
حباب والمال والفراش الوثير
ونساء يلدن بيض الصدور
نخم الى جوف مظلم من حفير
ل ذويها من حضنهم والحجور
أم وللأم من بنان الصفير
أسرفت في القتل ثم في التدمير
ساخرا من كرامة الجمهور
مالما قد خططت من تغيير

— ١٤ —

أنت داء وليس كالادواء
أنت وحش مازال في كل يوم
أنت أقوى ناب بشدق الرزايا

أنت رزء وليس كالارزاء
والغاً من شراسة في الدماء
أنت أمضي سيف بأيدي القضاة

أنت ذو سلطان على كل نفس
 أنت في الحكم مستبد فلا تنه
 أنت في السهل والجبال من الارض
 أنت لا تخفى عن عيونك فرد
 أنت باب ينفض بمن ولجوا فيه
 أنت إلى اللانهاية السوداء
 أنت في الارض حاكم والسماء
 زل يوما فيه الى الآراء
 ض وفي الماء كامن وانفواء
 في الدجي أنت مبصر والضياء
 من الناس ومبدأ للخفاء

- ١٥ -

نكصت عن لقاءك الاقوام
 أنت جلاد الناس تسرف في الة
 كلنا في أمواج بحرك نفني
 يملك الشيخ الهم والرجل الكا
 لك في محقنا تمد الليالي
 واذا ما انتجعت جسما سليما
 واذا كنت نازلا بمكان
 ان داء به تموت الصعالي
 فاذا أنت الواثب الهجام
 تل وأنت المفاجيء الهدام
 ثم لا يفنى بحرك القهقمام
 هل والطفل راضعا والغلام
 والايالى تمدّها الايام
 كثرت من روادك الاسقام
 فهو موبوء ليس فيه سلام
 لك كداء به يموت الهمام

- ١٦ -

تبلغ النفس يوم أودى مداها
 واذا ما أوديت كانت حياتي
 انها من حقيقتي كل شيء
 في حياتي ذاتي وأما المنايا
 هويت نفسي أن أعيش وان لم
 واذا ما نفس أقامت برمس
 اذا ما باننت عن الجسم نفس
 ويح نفهي فانها سيهلاقي
 لاسماء ولا نجوم أراها
 قد آتى من أيتها منتهياها
 كيف صبرى عنها وما سواها
 فهي فقداتها فلا أرضاها
 تلك في يوم حرة في هواها
 فتد اسود ليلا وضحاها
 يتساوى ضالها وهداها
 بغية جنيها فما أشتهاها

- ١٧ -

لا أرى عوض الشمس بد بواري تتجلى في صبح كل نهار
 لا أرى ما يزين جوف الليالي من نجوم زهر ومن أقمار
 لا أرى الزهر باسمًا في رياض طامها قبل الصبح صوب القطار
 من عرار وزنبق واقاح وشقيق ونرجس وبهار
 لأشم الأريج تحمله الابر واح قد مست جانب الازهار
 ثم لا أسمع الاغاريد تلقىها من الدوح جوقة الاطيار
 وحفيف الاشجار قد مرت الر يح بها في العشى والابكار
 وخير المياه في النهر تجري وعلى وجهها ترف القمارى
 لاسماع ، لارؤية ، لاشميم ، لامذاق ، لالمس ماني جوارى
 أنا بعد الردى لفقدان حسي حجير جامد من الاحجار
 تتوالى حوادث الدهر فوقى ثم أنى في حفرتى غير دارى
 وستبقى آثار فكري بعدى ثم تفنى كغيرها آثارى

- ١٨ -

إن أفارق حسي فماذا اعتياضى عن شعورى وذكريات الماضى
 كلما عادت فؤادى ذكرى ماضى لى انتفضت أى انتفاض
 وعن الآمال التى لى تبدو كنجوم من نورها فى بياض
 يوم كان الشباب غضًا فأمشى مرحا فى ثوب له فضفاض
 فسلام على الشباب الذى قد بان عنى وعهده الفياض
 شفق البلبل المتيم لما أبصر الورد دائم الاغراض
 وإذا البلبل المبهان تولى فسلام على عروس الرياض
 أنرانى أعنو لحكم المنايا ان أرادت أخذى بغير اعتراض
 أنا بالموت إن تيقنت كونى بعده واجداً حياتى راضى
 غير أنى أشك فليتأن - الدهر فى بته لما هو ماضى
 أنا بالشجر بعد أن هد صرف الدهر صرحى أبكى على الانتهاض

الانبايا لها سهام وأنى غرض واحد من الاغراض

— ١٩ —

بعد موت لهذه الاجساد ليس يبقى منهم غير جهاد
أيها الموت انت فى كل حين واقف للحياة بالمرصاد
هى تبنى وأنت توسع هدماً انبا فى واد وأنت بوادى
أيها الموت لأبناك لا أمان ت خنى عنى ولا أنت بادية
قد من الناس من تشاء تجده لك رخو العنان سهل القياد
رب ناس ماتوا جميعاً وناس ذنبوا فى أرض الهلاك بداد
وقبور بنين فوق قبور وبلاذ أقمن فوق بلاد
أزف الوقت أن أصير الى ما صار قبلاً أمى ، أبى ، أجدادى
وأخال الزمان ذا دوران فتعود الآزال فى الآباد
ويعود الانسان يوماً كما كنت جماعاته مع الافراد
اننى لم أخاذ الى غير حق فاماذا قد غاظهم اخلادى ؟

— ٢٠ —

أيها الناس إن أردتم خلوداً فقتلوا الموت وادفنوه بعيداً
واجعلوا فى يديه غلا ثقيلاً وبرجليه مثل ذاك قيودا
واسكبوا فوقه نحاساً مذاباً ورصاصاً وجلداً وحديداً
وابتنوا حوله من الصخر سوراً واجعلوا السور عالياً ممدوداً
ارفعوه الى السماء وردو ه الى الأرض ثم كروا صعوداً
وارصدوه من البعيد نهارة وارصدوه ليلاً وكونوا شهوداً
فعسى أن يبقى بذلك عما كن يأتية من أذى مصدوداً

— ٢١ —

بين ما قلت والحقيقة بعد مالحى من المنية بد
انبا فى يوم تجيء فإن جا ت فما ان لها يكون مرد
انبا ثمة الحياة التى قد وسعت وهى ثمة لاتسد

ولعلی اذا رقدت بقبری بعد موتی یطیب لی فیہ رقد
 اننی ان رقدت فیہ فلا یز عجنی کالاحیاء حر وبرد
 ولعل الحیاء ضرب من الفم ل خفی والموت للفعل رد
 أو هی الکهرباء حشوا الخلالیا وهو للکهرباء منهن فقد
 لم تزل هذه الطبیعة تبني ولما كانت قد بنته تهد

— ٢٢ —

ان بین الحیاء والموت حربا هو یبغی سحقا لها وهي تأبی
 ولقد یجمع الجرائم أجنا دا لها صولة فتزحف إلّا
 وتذود الحیاء عنها یجمع من کریاتها وجند معی
 ویكون الصدام بین القرية بین عنیفاً وتلهب النار لها
 تلك حرب بین الخلالیا واعداء الخلالیا تجدد طعنا وضربا
 وهناك القتلى تمزق اشلاء وتلك الاشلاء تؤخذ منها
 ولقد تمحز الحیاء ظهوراً بعد لائی وقد تهادن غضبی
 واذا الموت بعد ذلك ألفی خوراً فی الحیاء یهجم وثبا
 وتظلل الحیاء تدراً عنها — الشر حتی تعیا فتقضى نجبا
 ربما كان الموت أجدی لناس ركبوا مرکبا من الذل صعبا
 أی خیر من الحیاء لعان کل یوم فیها یعالج کربا؟
 بغداد فی ٢٠ مارث سنة ١٩٢٨

جمیل صدقی الزرقاوی

مذكرات (أنا)

بقلم (ى)

— ٥ —

لديك فكرة عن عهد جاهليتي ، ذلك الوقت الذى كنت فيه بوزيا أركم تحت قدمي صنمي المقدس معتقداً بأنه أنفم وأعظم كثن على ظاهر البسيطة. وكنت لا أرى أوجهه المتعددة ولا جموع البشر الملتفين من حوله . وانى لى أن افهم أن كل انسان من هؤلاء كان مثلى قائماً بأنه الحبيب المختار دون البشر أجمعين ؟ . لا تضحك أيها القارى . فان الملحد لا يعرف معنى للايمان ، ولا جل هذا تنفج شفتاه عن ابتسامة تهكم . انك لو قلت لى يجب الاعتماد على العقل دون العواطف جاء دورى لاضحك مليء شدى . فانى استحلفك أن تحاول تصور نسبة ما تعتقده لما تعتقه فنى تبين لك انك مؤمن أكثر من مفكر خفف عن غلوائك ولا تنمادى في استهتارك وشاب ايمانى شائبة من الاحداد عند ما جرحت فى احساسى فتولانى اليأس القاتل وانقلب الحب بغضاً شديداً وكان هذا فى الوقت الذى رجعت فيه الى الوطن . وكأنى بالشاعر الذى يقول « علام الحب لا تخفى على أحد » اصدق من نطق بحكم ، فاشتم الاهل ما حاولت اخفاؤه ففوتحت فى مسألة الزواج وبعد تمنع قبلت وأنا أرمى بقبولى لاخذ النار والمعاملة بالمثل لا أكثر

ولم يفكر الناس الا فيما تصوره عن جلبات السعادة فتكلموا فى شيئين لا ثاثر لهما المال والجمال . المال الكثير المغرى والجمال الجذاب فابت نفسى الاستسلام تماماً دون قيد ولا شرط ولذلك طالبت بان أعاشر لآزواج عن علم ، فاستفظم طلبى وعدجه لا وعدم نضوج . وهكذا أخذ حل هذه المسألة دوراً كبيراً انتهى بان تصارهم على ذلك بالتوفيق بين نظريتي « كيف يمكن لانسان أن يختلئ بامرأة لم يرها بالاقل بضع مرات ليألفها وتألفه بل كيف يمكنه معاشرتها وهما لم يختبرا ذوق بعضهما » . وبين نظريتيهم التى تلتوها عن حماة العائى الاعلام التى تحرم شاهدة الرجل لامرأة ومكالمتها . وقد فتقت لهم الخيل أخيراً ان يزوجونى من ابنة كنت اللعب معها منذ عشر سنوات على الاقل وهكذا رضيت وشر أهون من شر ولكن انتصب

أما شبح آخر ليحول بين الزواج فكان طمعي في ثروة والد العروس، لأنني عولت على عقد زواج مادي، يتعارض مع شحهِ الغير محدود من جهة ومع حب الظهور مع الاتفاق بلا حساب وهو رأي والد العروس من جهة أخرى وأخذنا نتجاذب حق السيطرة فتوالد يريدني أن أقنع بما يمليه علي من مشيئته والام تريدني دمية في يديها وأما أنا فكان جهدي منصرفاً نحو الاسراع لاقتطاع نصيبي من الثروة في أقرب فرصة مع ميل الى التظاهر بالسيادة وهكذا انقطع الحبل

وكنيت أحن في هذه المدة الى بيئتي الاولى، ورجع الايمان يضطرم في قلبي ثانية فهيرولت الى الشيكل وهناك جثوت بين قدمي البوذا فلم أشعر برهبة ولم يتملكني انثوسع اللذين كانا يلازماني قديماً وعندئذ فقط تبين لي أن صنعي المحبوب لم يكن إلا مادة عادية مكونة من لحم ودم كأي مادة أخرى وبالمثل خجلت من نفسي واحتقرتها فرجعت ادراجي الى حيث التقيت بمن كانت نصيبي المتدور لي

ولا تسأل عن المشاق التي كابدهتها حتى أتيح لي الخلاص. أليس من المعجيب أن يغضب كل الناس لأنني انظم حياتي حسب ما أريد؟ أليس من الغرابة أن كل من كان يحيط بي أعتقد أنه هو وحده صاحب الحق في تدبير شئوني؟ فكان الجميع امام رجل يحاول أن ينفق مالا ليس له فيما يراد صالحاً لي، فإذا أبليت الاعمال ما أراه ادار لي ظميره غاضباً، أو امرأة تريدني امثال دورا تتخيل هي فيه لذة لا استملحها وإذا ما امتنعت تبرمت. ولا أريد أن أطيل عليك الكلام فاقول بالاختصار انني خسرت المعركة فانهت مراسيم الزواج المضحكة بطريقة كرهها ذلك في نفس الوقت الذي أغضبت فيه كل مديري التنظيمات من الاهل والاصدقاء والجيران والمعارف ومعارف المعارف. وهنا يجدر بي أن أذكر أن المأذون المحترم أبي إلا أن يكون قسماً، فبارك زواجي بدعواته الصالحة، ومن يدرى فربما يأتي وقت يكون رش الماء فيه من مستلزمات الزواج الاسلامي المقدس

وفي إمكانني الآن أن أصف لك ثلاثة أنواع من الشعور الذي يمر بالشاب

نحو المرأة

(١) شعور بالحلب الجنسي وهو ميل شهواني يرمى الى ارتشاف كأس اللذة حتى اذا ما ارتوى الرجل التي بالمرأة جانبا الى أن تتملكه اللذة مرة أخرى وهذا نوع يصح أن يقال له «غرام فيسيولوجي» تتطلبه قابلية الجسم للافراز

(٢) شعور بالحلب الخيالي وهي «ظاهرة نفسية» صرفة ونوع من أنواع الايمان الذي لا يملك الشخص إلا في أوقات الشدة فيقيم في خيال السعادة لينسى مصائب انظار وف القاسية التي تحيط به . وهذا النوع ليس أكثر من رد فعل ينتج عن كثافة ضبابية من اليأس في أمن حياته

(٣) وشعور بالحلب المادي القائم على الموازنة وتقدير المرأة حق قدرها بعد بحث مواقع القوة والضعف فيها وفي هذه الحالة لا يرى الانسان فيها سراً يكهرب أوصاله اذا مسها فاذا ما ألف التيارات يتأثر منه، وكذلك لا يراها بعين الخيال لتتجلى أمامه بما تتصوره مخيلته من صفات الكمال البعيد عن النقص حتى اذا ثاب الى رشده ولو برهة وجيزة تهدمت تصوراتها وذهب ايمانه لمجرد انه راقبها مرة وهي تأكل فالحلب المادي «ظاهرة اجتماعية» تدفع الانسان اليه غريزة القطعان وهذا النوع هو أبقى الانواع ، يبدأ استحقاقاً ثم يصير تفاهاً فصدقة فاعتماداً وينتهي الحال بان يصبح الزوجان ألزم لبعضهما من كثير من الضروريات ويرى كلاهما في الآخر ليس ممثل الجنس الثاني فقط وليس الآله المعبود بل النصف المكمل والمتكامل الممكن الاعتماد عليه

ومن العبث أن اوحال اقناع الشباب بوجوب اختيار النوع الثالث من الحب لان الاندفاع من لوازم الشباب ولكن كثيرون هم الذين يدوقون الملقم جزاء اندفاعهم في أمثال تلكم الفترات

أليس الامر يكان محقون اذن في فكرة الزواج التجريبي؟ أظنهم سيقنن

- ٦ -

العالم مملوء بالسخافات وقد جرى العلم بعض ادعاءات المدينين اما لكونه لم يبحث الموضوع حقه واما لان العلماء انفسهم مغرضون .
كنت أميل منذ صباي الى تدليل الاطفال واللعب معهم وكنت أتصور

اعتمادا على ما أملت على النظريات العلمية، اننى سوف لا أحييد نظرى عن طفلى .
 أليست نظرية تضحية الاصل لذاته من أجل الخيالات التى يعززها العلم
 . نتجنا الى اسخف الامثلة، اذ يقول أن انقسام الخلية الواحدة الى قسمين ليس إلا مثلا
 طريفا لا ندفع المخلوق لا كشار النوع بالفريزة مع أن أقل مطلع يعلم أن هذا
 الانقسام لا يجمعه بفكرة التضحية أية صلة فهو يسم آليا وبالاحرى قسرا وليس
 اختيارا .

ها قد رزقت بمخلوقة زرقاء اللون بميل الى الاحمرار، قابلت ترحيب أمها بها
 وآلامها المبرحة من جراء حملها إيها تسعة أشهر بصيحات رنانة مزعجة . فتنفست
 الصعداء ليس ترحيبا بالقادمة بل سرورا بسلامة المتألمة، فالطبيعة العرجاء تأبى على
 المرأة غير الالم المبرح اذا ما حان لها أن تزيد سكان العالم المتألمين نفسا جديدة
 وقضيت وقتا غير قصير بقلق أتبين ذلك المخلوق البشع المنظر على راحتي وكان ما تصادفه
 الام من التعب فى خدمة المنزل ومراقبة الطفلة مما لا يحتمله انسان إلا انها أظهرت
 اقصى ما يخطر ببال انسان من الجلد والشجاعة ولم يكن فى وسعى استحضار يد
 تقوم بمساعدة تذكر لهذه المخلوقة المتعبة المعذبة وهذا ما حدا بي الى التفكير وقتا
 طويلا اسائل نفسي عما اذا كنت قد ارتكبت خطأ بالزواج أم لا؟

أليس الزواج من الضروريات الاجتماعية والنفسية أو هو ليس بالاقل ضرورة
 فسيولوجية ؟ ايعرف أولئك الخياليون مقدار التماسه التى يواجهها من ليس له مال
 ليتزوج ؟ . وهل يفهم هؤلاء مبلغ شقاء المتزوج اذا كان رقيق الحال ؟ يريدون منا
 قهر الطبيعة المادية ويطلبون منا خنق عاطفة الحب لا شىء إلا لاننا فقراء فاذا لم
 نرض بذلك قالوا لنا انغمسوا فى بؤرة الفقر والحاجة وهكذا ينشأ أولادنا فى الازقة
 يجيمون بالخرائب لتدرا عنهم قبرا الحار ودمير البرد . فاذا ما ثرنا امسكوا بخناقنا وقالوا
 بالكم من زناة او باش عديمي الضمير والاخلاق انتم لا تتناسلون ولا تفيدون المجتمع
 الذى تتعاملون عليه وما الذى نقدر ان نجيب به أولئك التصيرى النظر وهم لا ينظرون
 الى العالم إلا بمنظار الماضى، هؤلاء الذين لا يستحون من التفاخر بعصر كان الرجل فيه
 يمتلك قطيعا من الاناث دون ان يوبخه ضميره . ذلك الوقت الذى كان يتخذ الرجل

لذاته فيه اربع نساء وسربا من الخطايا فيطعمهن بسىء القوت فاذا ما مرضت واحدة اقصاها عنه واستعاضها بغيرها. هو الماضى، ذلك الوقت الذى كان فيه فك الخط من المؤهلات لتحمل المسؤوليات. فهل يمكن لنا ان نفعل ما كان يفعله اولئك المتقدمون المتبوسون؟ اين يمكننا ان نساكن بنسائنا ودخاننا قليل؟ اين يمكننا ان نعلم اولادنا وليس لدينا مصاريف المدارس الباهظة

الا ارجعوا لنا ذلك الوقت الذى كان يهب الآباء فيه الخطايا الى أبنائهم متى دخلوا دور البلوغ وارجعوا الوقت الذى كان فيه الرجل غنياً اذا بلغ دخله الف قرش لا أكثر. ان التطور الاقتصادى قد غير الحال عما كانت وتأتى عقليتنا الراقية علينا لرجوع الى العيش وسط تلك العصور المظلمة

على المجتمع اذا أراد تكييف الناس حسب ما يريد أن يقوم بعمل التسهيلات اللازمة لهم، فيجب أن يعطى التفكير مجالاً للاستشفاء والسكن والعمل بما فى وسعه أن يدفعه وبعده لا يكون لكم حق فى الضغط والحث، فالناس يتجهون الى حيث تريدونهم أن يسيروا دون ان تشيروا الى فهم الطريق السوى. أما الآن فالواجب أن تسمعوا الى صيحات النشء من أجل تحديد النسل ومن أجل الحب الحر وما شابه من الأقوال دون أن تتبرموا بالطبيعة دائماً عالية الصوت وقوتها لا تقهر وان اعجب فمن الشئ الذى يسمونه حنو الامهات، الامر الذى اكاد اتلمسه بين الآباء فلا أجده امرا يستحق الذكر. فمثلاً كم يترك الرجل خلفه من بناء وهو متاد فى رعونة الشباب دون ان تحدثه نفسه بالبحث عنهم واذا فرض وعثر على أحدهم قتلما يهتم له. اما الام فتشعلهم دائماً بمعافها وحنوها فهل هذا الحنو طبيعى؟ وهكذا اذا فقدت الام ابنها واجتمعت به فيما بعد عرضاً دون ان تعرفه تشعر بميل نموه؟ اليس للآلام الهائلة دخل مع الموضوع؟ اليس لاناتها دخل فى ذلك فى الامر؟

اذ نكر اننى زرت جماعة ولما جالسنا فى حديقة منزلهم بادرتنى سيدة المنزل بالسؤال الغريب الآتى: ما هو أحسن شئ تقع عليه عيناك فى الحديقة؟ ربما أن نظرى لم ينجذب لشيء مخصص. أعلمت المفكرة طويلاً ثم ذكرت أشياء

لواحد بعد الآخر دون أن أشبع ديارها للاقتناع . وأخيراً سألتني عن رأيي في
 • تمعد • مصنوع من اغصان الشجر ولما اجبت بأنه • تمعد • عادى كثيراً ما ترى أمثاله
 في الحدائق ونهبت الى خطأ ظاهر في صناعته • صعد الدم الى وجهها وكان الزوج
 يضحك طيلة الوقت فقال إنها هي التي صنعت هذا التمعد بيديها ولذلك تظنه
 احسن تحفة يقع عليها النظر في هذا العالم . وها انا أسألك نفسي الآن وهل هناك
 فرق بين ميل هذه المرأة لصنع يديها أن كان تمعداً أو طفلاً؟ وهل هناك امرأة
 ترى في طفلها عيباً معها بلغت درجته من قبح الصورة ؟

ولما كبرت ابنتي تعودت عيناى على رؤيتها ومررت على مدا عبت بها فأصبحت
 سلوى أضيع بها الوقت وأصبح لى ميل للتحديث معها بلفتها الاعجمية وأقبلت
 على مصاحبتها معى كلما خرجت للرياضة؛ ولست أدري بالضبط الدافع على ذلك أهو
 لتزبيها أم سماع الفاظ الاعجاب بها سواء بحق أو بغير حق لا شبع غرورى
 وميائتى وقت تكبر فيه هذه الطفلة وتحاول ان تقف على رجليها فتخطط لذاتها
 الخطط التي تثير غضبي وهكذا تذهب عنها الطهارة والبساطة وهما ظاهرتان للطفولة
 فأعمل جهدى كي أمنعها من ارتكاب ما أظنه خطأ وأرقبها عن كشف • متجسسا
 وشرأ عن ساعدى

وأخيراً... أجل وأخيراً ، تلتقي بذاتها بين يدي شخص غريب فيفوصان معاني
 بحر الحياة الهائج تاركين أهلها يعضون بناتهم ندما وحسرة
 هذه هي الحياة كلها تعب ، كلها انانية ، وكلها جرى وراء المنفعة

(...)

ملخصة بتصرف

الصهيوني

وصف الكاتب الروسي الشهير مكسيم غوركي امة اليهود بأنها صيف ذهبي مشهر على رأس أوروبا (مهد المسيحية) ويسهل للمطلع على تاريخ اليهود الوقوف على مبلغ الاضطهادات المريعة التي لاقاها أولئك المساكين حين كانت أوصالهم ترتجف كل يوم من الهلع قديماً ، وهم لا يزالون حتى الوقت الحاضر ، مضطهدين في بعض أنحاء أوروبا ، حامية حتى المدنية ، اضطهاداً مريعاً يومهم العصر وصمة غير مشرفة لو أمكن للتأريء تصور حال هذه الامة وهي تتحمل الضربات الحالية صابرة على الضيم مجتدة في العمل لاجل لم شعنها وتوحيد صفوفها لتكون كما يجب أن تكون أمة لها مكان تحت الشمس ، لا شك لا يملك من التصفيق بكلمات يديه تشجيعاً لما للمضي في طريق تحرير نفسها من طغيان المتعصبين ضد السامية وانك وانت تقاب صفحات التاريخ القديم والجديد لا تملك نفسك من الاعجاب عند ما تقرأ أسماء يوسفوس وغيره من المتقدمين وماركس وماكس ترودو وذر رائيلى واينشتين وبرغسون وغيرهم من المتأخرين ، خصوصاً متى وقفت على مبلغ الدور الهام الذي لعبه كل منهم على مسرح هذا العالم . وكانت ادوارهم أدوار بطولية حقه فخرهم فيها يزيد كثيراً عن نصيب غيرهم منه ، لأنهم تغلبوا على الصعاب التي تصادق كل الابطال ، وزيادة على ذلك فنتبهم زالوا صعوبات أقامها البعض في طريقهم عبداً وبسوء قصد .

ويجب أن لا ننسى مطلقاً باننا كشرقيين ابناء عمومة اليهود ، وإيس هذا فقط بل نحن وإياهم شقيقان نجمعنا الدوحة السامية ويجب أن لا يغفل المسلمون أن اليهود هم أساتذتهم ، وهم أكثر الناس تأثيراً في تأسيس ما يسمونها المدنية الاسلامية .

فكر اليهود كثيراً في موقفهم كامة من واجبها الدفاع عن كيانتها وبعد محاولات كثيرة توصل عقلاؤهم بوجوب تعيين مكان ليعتبرونه وطناً قومياً لهم فانتخبوا بقاع كثيرة كالارجننتين وشاطى افريقيا الغربية وفلسطين ولكن أخفقت جميع التجارب الا في فلسطين (أرض الميعاد) حيث امكن لزعمائهم اقناع سواد اليهود بسهولة على وجوب الرحيل مستندين على نظريات شتى قائمة على اعتقاد الامة اليهودية

أن البعث والنشور سيقعان في الأرض المقدسة ، فلا يلاقى الذي دفن فيها مشقة للوصول إليها في حين أن المدفون بعيدا عنها سيضطر إلى حفر نفق في باطن الأرض يوصله إلى أرض الميعاد ويكون ذلك بعد قيام الساعة لاعتقادهم أيضا بأن المسيح سيهبط من السماء في طبريا على قول وفي صند على قول آخر أوفى محال أخرى جميعها في فلسطين المقدسة. هذا مع ملاحظة أن اليهود لا يسمون بمسيح النصرانية بل هم المسيح الموعودون به منتظرون، ويجب أن لا ننسى أن كتبهم المقدسة تحت على الانتظار في أرض الميعاد وتطلب من الله تمهيد السبيل إلى لم شملهم في مملكة داود هذا سبب مهم لاتفاق زعماء اليهود على فلسطين دون غيرها لتكون وطننا قوميا لهم . وأما السبب الآخر فهو حسن معاملة المسلمين لهم خصوصا وأن اضطهاد محاكم التفتيش الذي كان موجها إليهم وإلى المسلمين معا نتج عنه لسحاب الشعبان خارج أرض اللاندلس فتمكن اليهود من التنقل في بلاد المسلمين إلى حيث شاءوا فاستقر بعضهم في أرض (موآب) المآب، وقاموا بشعائرهم دون خطر، وكذلك وقعت بهد ذلك خلال القرن التاسع عشر مذبح في روسيا فلم يكن لأولئك الساكنين من مفر إلا الاتجاء إلى أقرب بلد أمين فتخطوا الحدود إلى الأراضي العثمانية ومن هناك قصدوا أرضهم المقدسة للإقامة فيها

مما سبق يتضح لكل منصف أن الصدفة دخل كبير في استقرار رأي اليهود لاتخاذ فلسطين دون غيرها مركزا ينشئون فيه وحدتهم السياسية الاجتماعية كما وأن للتعالم الدينية تأثير مماثل في هذا الاختيار

وأنشئت الجمعيات لا يواء أولئك المشردين، فكانت أول مستعمرة منظمة هي ريشون لي زيون Richon Le Zion للمهاجرين الروس وقد أصبحت الآن مركزا مهما، وألف يهود رومانيا بعد ذلك جمعية أخرى أنست مستعمرة «زمارين» وتابعت الجمعيات المختلفة بعد ذلك تأسيس المستعمرات دون أن تربطها رابطة إلى أن ظهر للمثربين من اليهود نجاح الم شروع فوحدت الجهود وأنشأوا مع مفكر يهود حكماؤهم جمعية مركزية للإشراف على حركة الاستيطان في فلسطين وأنتم هذه الجمعية

«جمعية الاستعمار اليهودية» Jewish Colonising Association

ولفظة الصهيونية مشتقة من جبل صهيون القائمة على سفحه مديسة القدس
ولفكرة الصهيونية رجال يجب أن لا تنقل دن ذ كر «هرتزل» منهم وهو العالم اليهودي
الالماني الذي تفرغ للدعوة الى الحركة المذكورة وبلغ رسالته في كتابه «الحكومة
اليهودية» وهو انجيل الصهيوينين الى الوقت الحاضر، والصهيونية نظام اجتماعي
Communistic (ويعر به البعض نظام اشتراكي واعتقد ان تعريبي اوفى . ولو انه
اكثر ايهاما من التعريب الاخير) يرمى الى التجديد ومتابعة النظريات المصرية
والعمل على تكوين مدينة يهودية قحة جديدة واحياء اللغة العبرية وخلق (وهذه
اللفظة خير من قولنا واحياء) ثقافة يهودية جديدة وكان قد سبق هرتزل يهودي آخر
حاول الترويج لفكرة وجوب اندماج اليهود في العناصر التي يعيشون بينها فاليهودي
المقيم في بريطانيا يجب أن يكون بريطانيا والذي في فرنسا فرنسيا اه فسفدت تعاليم
الرسول الجديد ماراه مندلسوهن صاحب نظرية العناصر، وهكذا لم يعد لمندلسوهن
أنصار يعتقد بهم في الوقت الحاضر .

واذا سألت عن نظام المستعمرة الصهيونية فاعلم انك تجده نموذجاً راقياً للحياة .
فلكل عائلة منزل صحي مضاء بالكهرباء مجلوب اليه الماء يختلف حجمه باختلاف
الثروة ولكن لا ينعدم التجانس كلفة بينه وبين سواه كما هو الحال في الامكنة الاخرى
فانك ترى مثلاً بيتاً يحوى أربعة حجرات عبارة عن طابق واحد تحيط به حديقة
صغيرة قائماً بجوار قصر لمتر يتكون من طابقين لا تزيد عدد غرفه عن العشر
تلتف من حوله حديقة . متوسطة السعة لا يزيد الاعتناء بها عما تناله حديقة المنزل
الآخر وكل الابنية نظيفة يتفاوت أثاثها من حيث القيمة وليس من حيث الاستعداد
ويخصص اصحاب المهن إحدى الغرف بمنزلهم لمزاولة مهنتهم فيها وانك لتجد
اسم صاحب ورشة النجارة معلقاً على باب منزله فاذا القيت نظرة الى الداخل ترى ان
منهم من كان في عمله بهدوء ونشاط . وأما الفلاح فيحتفظ بغرفة يؤوى فيها ماشيته
ويحفظ فيها آلاته . فاذا ما سرت في الطريق مبكراً في الصباح تجد ان الملائق يخرجون
ازواجا وجماعات الى الحقول وهم يقودون مواشيهم معهم وخالقها أو على ظهورها
الآلات الزراعية الحديثة وترى الرجال والنساء . وهنا يجب أن أقول الشبان

والشابات لانك قلما تعترف في طريقك على كهول وذلك ناتج من تقييد المهاجرة بعدد مخصوص ولذلك يفد الى فلسطين صفار السن أقوياء البنية من اليهود فقط ، لا بسين ملابس العمل بيضاء نظيفة متوجهين الى مزارعهم وأما الاطفال فيركضون الى معاهد العلم لان التعليم من الواجبات عندهم ، حتى انك لا تجد بينهم يهوديا غير ما بالقراءة والكتابة فإذا ما قاربت الشمس من المغرب استبدل الكل ثياب العمل ليقصد بعضهم النوادي والبعض المدارس اليلية والبعض قاعة المحاضرات و بعد الغروب يستنشقون النسيم العليل في المتنزهات ثم يستسلمون بعد العشاء لسلطان النوم

وحقيقة انك لا تهالك من الشعور بالسرور وبالراحة وأنت تقضي وقتك في هذا الوسط الراقى خصوصا متى علمت انهم يقضون منازعاتهم دون التجاء الى الحكومة قدر الامكان ولهم نظام لنقل البريد

وهنا يجب أن أذكر شيئا عن نتائج المهاجرة اليهودية الى فلسطين وما تسببت عنه من شقاق بين « العرب » و « اليهود »

ذهبت محاولات اليهود لاخذ موافقة الدولة العثمانية على فكرة الوطن القوي هباء، وذلك قبل وقوع الحرب العظمى، فلما توغلت أور وبا في الحرب واصبحت في حاجة الى المال لمدادمتها، اظهر كبار المالىين من اليهود سبائكم الصفراء لدول الوسط مشترطين الاعتراف بالوطن القوي . فسعت ألمانيا والنمسا وبلغاريا جهدها لاقتناع تركيا للاعتراف بذلك، فابت خوفها من انتفاض العالم الاسلامي عليها . ولما خاب أمل اليهود وجهوا جهدهم صوب المؤتلفين فغازوا بعهد « بلفور » وهكذا كان من أهم أسباب انكار دول الوسط امساك اليهود عن امدادهم بالمال واليس من الغريب ان ألمانيا عقدت عدة قروض داخلية في ابتداء الحرب فكان كل منها يغطي عشر مرات أو أكثر في مدة يسيرة ولم تكن قد ثبتت اقدامها وظهرت بمظهر القوى القادر بعد ؟ ثم انقلب الحال بعد ذلك فاصبحت تفرض الاكتتاب فرضا حين كانت جيوشها قد اكتسحت روسيا وغزت بلجيكا ومنطقة غير صغيرة في فرنسا وردت ايطاليا الى ما بعد حدودها ؟

فلما وضعت الحرب أوزارها وقبض البريطانيون على دفعة الحكم في فلسطين ندموا على الوعد الذي قطعوه فأشعلوا في العرب روح العداء للصهيونية فهب أولئك متحمسين لدفع غارة المهاجرين وحدث بين الطرفين ما يؤسف له . وكان للعرب دافع الى ذلك ، فإن نشاط اليهود كان على أشده فبدلوا الجهد لتوريد أقصى ما يمكن توريد من المهاجرين ومن المال وتمننوا في شراء العقارات ببخس الثمن فصرخوا بالتجارة المحلية ضربة قاضية إذ باعوا بأسعار مخفضة جدا ما كانوا يشترونه من السوق المحلي بأثمان عالية وهكذا استحلوا ممالكهم التي يربطها شيطان

وحاولوا أيضا السيطرة على المصالح ثم عدلوا على استبدال العرب باليهود حتى لا يتركهم علة شائهم مدة طويلة الى أن ينظمو شؤونهم . فعملت الجبال سرا جنبا الى جنب مع العرب للرد هذا الرباء . وقد تخرجت الحال لدرجة أنها كانت تستورد الأسلحة من الخارج سرا لليهود الذين كانوا يمفرون الخنادق حول خيامهم ويمزقونها بالمتاريس عليهم بأن السلاح كان يوزع على العرب بلا ثمن وبكثرة وتدارك الامر العقلاء فقتل اليهود من غلوائهم وحدث ان خففت العقبات التي صادفوها من اندفاعهم ، فعند ما شعر العرب بتحسين الحال عادوا الى استكانتهم . وأما بريطانيا فقد شطت الميدان بمحنة من رمد والآن يكاد الاستقرار يلزم الحالة لولا ما يقع بين وقت وآخر من الاحتكاك ، واغلبه غير متعمد ، وفي بعض الاوقات يحاول بعض المغرضين تحريك النار الحادثة لاشعالها قصد جر المغنم لانفسهم .

وهنا يجب ان أتساءل « هل سيفلح اليهود في « صهيئة » العرب — وربما الشرق العربي كله — أم سيطردهم العرب من فلسطين ؟ »

اما انا فاعتقد اننا سنكون تلامذة اليهود كما تعلمنا لهم سابقا وقد بنيت حكمي هذا على انهم اغنياء متعاملون نشيطون ، ونحن فقراء جهلة متواكلون ، ومع وجوب ملاحظة اننا فرعي أرومة واحدة وتكاد عقايمةنا تكون متماثلة ، فليس من الصعب علينا الاقتداء بهم في كل ما سيفعلونه

رحلة

فى بلاد الواق

فصل ممتع من كتاب العالم العلامة والبحر الفهامة واحد زمانه ، وسيد عصره وأوانه ،
الاستاذ المبجل فضيلة الشيخ شأبوب الزاجل غفر الله له فى الدارين ؛ وقد عني بنشره وبشرح
الفاظه الفنية وعلق عليه الحواشى والشرح الفقير اليه تعالى حين محمود المذبح

قال استاذى والله أعلم ، كنت وفقنى الله واياك قد انهييت صلاة التراوىح فانعكفت
جانبا اقرأ سورة القدر ، وكان ذلك فى الليلة المباركة التى ذكر البارى عز وعلا
انها خير من الف شهر . فرأيت باب السماء بغتة قد انشق واذا بصوت القى فى قلبى
الروح يقول سل ماتشاء و ربك لاشك مستجيب فغضضت بصرى هيبة والقيمت
نفسى على الارض وعندها مرت فكرة زيارة بلاد «واق الواق» على خاطرى
مرور السهم دون قصد ، وأذا بالنور قد تلاشى ، فندمت على تأخرى عن بسط
امنىتى فى تلك البرهة المباركة ، وأخذت ألوم نفسى على الجبن الذى اظهرته طورا
وكنت اهنىء نفسى للحظ الذى حبانى الله به طورا آخر ، وبيننا كان برقص فؤادى
جبورا مرة ، وتبال أدمى شعر لىتى مرة اخرى ، خاطبنى زنبور (١) قائل
ما خطبك ، فاخبرته بخبرى وقصصت عليه قصتى فتبسم ابتسامة لطيفة و بشرنى بان
ما طلبته قد استجاب القادر على كل شىء ، وأشار على بركوب متنه ففعلت واذا به

يسير بنا يطوى السماء كأنه من الريح الا انه قد نجسها

يجوب أديم السحب قفرا وعامرا و يترك ضوء الشمس اغبراقما

وكنت فى مجلسى كالطود الراسخ اجيل عيني فى السدم (٢) المنتثرة فى الفضاء
وهى تحديقى فى دهشة وعجب . وعلى بعد شاسع من قضاء اللانهاية تطلعت الى
ادنى فاذا برأس الحوت الحامل انور الارض يتألق كالجرة فبدأت مطيقتى تفسرلى
ما أغلق على من المدهشات قتالت اعلم وقتك الله ان هذا الحوت ليس أكثر من
بسارية (٣) حقيرة افرزت الارض لأول مرة فحملها على ظهرها للذكرى

(١) الزنبور هو منطاد السماء

(٢) انوار كهربائية تزين بها السماء فى الاستقبالات والاحتفالات

(٣) مدرعة من طراز الدردنوت حوله مايون الف طن بها الف الف مدفعية فوهة كل

مدفع منها مائتى الف ذراع

غير انها خشيت ان يطغى عليها السمك على حد قول بعضهم، أو رغبته للا كبار
من شأن ذاتها حسب قول آخرين، فأفرزت نورا حماته اياها (١) على قرنيه . واما
الشموس والاقمار والنجوم فهي افرازات اخرى بعضها كبير وبعضها لا يزيد في
حجمه عن حبة الحمص . أما السبب في كونها مذيبة في بعض أوقات ، معتمه في
الوقت الآخر، فلانه قد قدر على أهلها ائارة منازلهم ليلا (الا الشمس فان الانوار
تضاء في بيوتها من وقت الشروق الى وقت الغروب فقط) والسبب في ان الشمس
والكواكب والنجوم تدور تامة في السماء هو البحر . فان ابايس المعين براهها فيظنها
ماسا يتألق ولذلك يعوز عليها عساها تقع فيبيعها للجواهرجية مثل شيكوريل
والماوردي وسمعان ، ليتمكن بشمنها من ارشاء المؤمنين على متابعة تعاليم طه
حسين وصاحب العصور وغيرها من المالحدين والعياذ بالله ، اسأله جل و علا ان
يكتب لي منهما في الجنة وهو على كل شيء قدير . ومررنا قيد شعرة من الشمس
فاشار لي سكتها بايديهم ان أقبل علينا على الرحب والسعة فبرزت لهم رأسي
معتذرا ولم أدهش لذلك الكرم العربي فتدرايته في جميع المحطات التي مررت بها
ومن الغريب انهم جميعا يتكلمون العربية الفصحى مع فرق طفيف لا يزيد عن
الفرق الموجود في أروقة الازهر الشريف العامر . واعتقد ان أصل سكان هذه
الكواكب هم من العرب الذين ضلوا بنوقهم في الصحراء ، فأوف بهم الجن المؤمنون
فأهدوهم الى اقرب مكان عامر

وعندئذ أظلمت الانوار كلها فطلب مني الزنبور ان أشجع وأردد عدية يس
ففعلت واذا به يخفف الوطاء وأخذ يسير بتؤده على شعرة من نور تحتها فراغ
وتكتمتها الظلومات (٢) من كل جانب وبعد مسيرة الف الف فرسخ وصلنا الى
الجانب الآخر سالمين واذا بالزنبور المسكين يمسح العرق من فوق جبينه فبال
منديابني أو أكثر ثم عصرهما واذا بالماء ينهمر مدرارا الى أدنى فعلا الصراخ

(١) يقول سهلان عن يافع عن ابن جديب حدثني فوزان أنه سمع قعيس يقول اقسم بالله
العظيم وبكتابه الكريم انني تطلعت من حافة الارض مرة فראيتها واذقة على قرن واحد فاذا
ما تعب الثور نقاها الى القرن الاخر وهذا بسبب وقوع الزلازل واسم هذا الثور - ثوران اسفات
(٢) يقول الاستاذ الفياض ان الشيطان جزاء الله انبسام أن يوقد الشمعة التي كانت
في جيب رداءه

وركضت الخلائق الى شقوق هنا وهناك فضحك الزنبور ملء شذقيه واذا به يضع إبهام يده اليمنى فوق أنفه ويحرك الاصابع الاربعة الاخرى. ولما لم احر جوابا عند ما سألتني عن أولئك الناس قال هؤلاء هم قوم يأجوج ومأجوج (١) اما الظلومات فمن السد الذي اقامه الله بيننا وبينهم الى يوم القيامة

وتمت هذه اراحة في غمضة عين فقال لي الزنبور ها قد قر بنا من بلاد واق الواق البعيدة عن أرض العراق ، وبعد ما قطعنا عدة آلاف آلاف من الفراسخ هبطنا على درة مكنونة وجوهرة يتيمة فاذا بنا على باب واق الواق ، وما أدراك ما واق الواق ، بعد وتلاق ، ولسم العترب دريق ، منازل شاهقة مثل منازل القاهرة (٢) بنيت من الذهب والفضة ، لبنة من هذا ولبنة من تلك ، وقد انتشرت الجواهر هنا وهناك فازداد المنظر بهاء بحيث يستلب الالباب ويذهب بالرشاد وهناك لازواج ولا طلاق ، فالفيد ترتع تحت الافئس والولدان يكرعون اللبن والعسل بآنية من ماس وتحت أعمار الفواكه المختلفة كالتين والتمر والخوخ والبرتقال وأنواع كثيرة اخرى مما لم نره عينا ولا سمعت به أذننا ، يجري نهر ماء عسل نحل واخر ماء لبن حليب وثالث ماء كفور . وكان أول ما فعلته انني أردت أن اطعم عطشي فقصدت نهر الكافور فاشمأزت نفسي من لزاجته التي فسكرتني بزيت الكافور ، فخرجت على نهر العسل فوجدت الشمع قد أخرج منه وما شربت منه قليلا حتى بجته نفسي فتقيأته لانه لا يهضم سريعا ، واخيرا شربت قليلا من اللبن فسبب لي اسهالا لانه لم يكن سائنا . وحاولت ان أجد طعاما ولكن عبثا ما حاولته فاكلت من الثما كبة كميات كبيرة سببت لي آلاما في البطن انطاوية ولم أجد هناك دكا كين ولا محال بقالة ولا أى مظهر من مظاهر العمل وكنت كذا محاولات التكلم مع أحد نفر مني مستعيذا بالله ، وبعد التي واللتيا رفع الله عن بصري الغشاء فعرفت ان السبب في نفورهم ليس أكثر من ملبسى التي استبرجها عورتى لانهم لم يعتادوا رؤيتها ولا يعرفون كيف يتباح لهم الحصول

(١) الخلائق صفار لا يزيد طول أحدهم عن شبر واسكن اذننا يتخف باحدهما بيننا
 (٢) على الاخرى وساحاول ان انشر مثال الاستاذ عن سياحته في تلك البلاد في عدد آخر
 (٣) هذا تواضع من الاستاذ لاننى اعلم من ثقة انه رأى هناك ناطحات السحاب

على السراويل وغيرها من أنواع الثياب ؟ ولم تكن خجلى عظيما عند ما مشيت
لاول مرة في الطريق عاريا ، ولكن زال خجلى عندما تفاهمت معهم فاستغربوا
استلقتي عن الخبز واللحم والارز وخلافه فهم لا يعرفون الا الفا كهة واللبن والعسل
والكافور وكان أول ما أشاروا به على أن اختار من الغيد والماليك حاجتي فاخترت
عددا قليلا فهزؤوا مني ولما قلت ائتوني بماذنون استلقوا على ظهورهم استخفاغا
صاحكين وفهمت انهم غير متقدين بزواج ولا بطلاق فقضيت بضعة أيام انزه
نفسى على طريقتهم فأنحلت قواى وصرت عاجزا عن السير المستقيم فامتنعت عن
هذا العمل المتعب وقضيت وقتا مع كبير منهم اسأله عما يعلمه فلم يعرف شيئا الا
أن الله قادر موجود وان نبيه هو فلان وعدد لى بقية الانبياء والرسل ، فسألته
هل شق موسى البحر فانفلق ؟ فلم يفهم ما أردته لانه لا يتصور معنى البحر فلما اشترت
له الى النهر امكن له تصور البعد والغور وقال اجل في امكانه وسألته عن الشقاق
القمر فقال انه لا يعرف الشخص الذى أتكلم عنه لانه لم يمر به . سألته عن ايمان
أهل الكهف فدهش لانه ليس لديه فكرة عن بلد اسمها الكهف . فوجدته ناقص
الايمان لسوء الحظ ولذلك بدأت ادلى له بمعلوماتى فكان يضحك ملء شديقه
ويقول بوقاحة ان الخرافات التى أرددها على مسامحة مسامية للغاية . وسألته شئ
طالع لامية الطغرائى أو الفية ابن مالك فقال انه متنعم ولا يريد ان يشقى بالعمل ولما
ضقت به ذرعا تركته وحاولت ان اشغل نفسى ففتقت لى الحياة أن أغلى قليلا من
اللبن عساي استطيب العيش بين الذهب والياقوت والزمرد ولكنى لم البث ان
اضربت النار بالاحتكاك حتى هاج الملق وماجوا وقالوا الى الصلاة الى الصلاة لنتطلب
من الله اخراج هذا الساحر من بيننا فيرولت الى مطيتى ورجوتها ان تطلق ساقبها
للريح ففعلت وكنت في أشد حالات اليأس خوفا من المطاردين وتألما من المعاناة
فكنت لذلك كلما مررت على جماعة سمعوا دوى الرعد فوق رؤسهم فيهربون
حتى لا تتسخ جسومهم من اللبن والعسل الذين كانوا ينهمران عليهم دون حساب
تذيل — ها نحن قد فتحنا بابا نحونا فيه منحنى الاوائل تلبية لطلب الذين عتبعوا
علينا عدم الاهتمام باحياء علوم السلف ، فاذا راق هذا البحث للجهمهرون القراء

نقلنا اليهم في عدد آخر فصلا عن بلاد يأجوج ومأجوج وبذلك نكون قد
احيينا بعض الشيء من علوم الجغرافيا والتاريخ والفلك على ما عرفها القدماء.

حسين محمود



الخطيئة

تعثرت فانهض لماً	لملك من عشرته	سبيالك محلولك
فان شئت هديا تته	ترد عقابيله	وتصرف عن غايته
أجد باسلافنا	فاروانا الى حلكته	وراحوا أثارشدة
غريراً على رشدته	وأخر في ضلته	تمرد في ضلته
وكل على جيرة	يهدي الى ملته	يرى الحق في دينه
فيبغيه في زمرة	وما المرء الا قوى	من الروح في صورته
فبعض الى خيره	وبعض الى شرته	دوايب في شرة
غلابا على شرته	يجول بميدانها	المشرع في صيقته
فسوقا الى ناره	وسوقا الى جنته	وما المرء ما شأنه
يعيش بلا خيرته	يساق بلا شيئة	ويظهر في شيئته
وما السوء يوم غوى	وما الخير في مخبته	وقد بات مهزومة
قوى الرشد في فطرته	هو الله سبحانه	تحيرت في حكمته
فما زال ما شاءه	رموزاً على آيته	له الشأن لم يطلع
نواه الى قنته	نهى آدماء حينما	قضى الامر في زلته
وناجي ابن عمران والسا	مرى على فتنه	وقد شاء من مريم
سوى العبد في شرعته	ومن شاء لم يهده	بذنوب على خطته
ومن شاءه واسل	زليف على شفته	خطاء بني الارض ماض
على التسر في ضيقته	وليسوا بأديانهم	الى الخير من صفته
ولكنها خدعة	لماض على خدعته	والهوة للذي
أطيل مدى عيشته	عبد اللطيف ثابت	

النقد والتأليف

اعجاز القرآن

والبلاغة النبوية

بقلم مصطفى الرافعي (الطبعة الثالثة) في ٤٥١ صفحة من القطع الكبير حسن الطبع والورق (مطبعة المقتطف والمقطم بمصر) — وعلى غلاف هذه الطبعة ما يأتي :
« أمر بهذه الطبعة علي نفقته حضرة مولانا ملجأ الاسلام والمسلمين وحامي العلم والفضيلة والدين صاحب الجلالة ملك مصر (أحمد فؤاد الاول) عز نصره »

على الرغم مني ما اكتب في هذا البحث وعلى الضد من ارادتي ما احاول أن استعرض اليوم مجمل ما يقوم في نفسى من أثر المعجزة والمعجزات. غير انى مسوق الى هذا بحكم الضرورة وبحكم ما يقوم في نفسى من نزعة الى التفكير الحر والنقد الذى لم يفلت منه شىء في هذا الوجود. قال « ادوارد كيرد » في مقدمة كتابه فى « فاسفة كانت » ما يلى :

« ان العصر الحديث هو عصر النقد. النقد الذى اضطر كل شىء الى الخضوع له خضوعا غير محدود بحد ولا معرف بتعريف. فالدين ، مستويا على عرش القداسة ، والقانون ، قائما على ما يحف به من عظمة ، قد حاولا مرارا عديدة أن يفلتا من حكم النقد ، وكان عبثا ما حاولا . غير أن محاولتهما الافلات من النقد قد بثت في الناس فكرة الشك فى صحة القواعد التى يقومان عليها ، وأفقدتهما النتائج التى تترتب على ما يحبو النقد الحر بقية فروع المعرفة الانسانية من تمحيص ونزول على حكم العقل الصرف »

على اننا لم نعتد بعد أن نتقبل النقد البرىء فى مجال أقل من مجال الدين احتكاكا كالشاعر وأظهرنا البغض حيننا والنفور حيناً آخر. فما بالاك فى نقد يتناول الاعجاز والمعجزات ، وهى على بعدها عن أحكام العقل الاولى ، وعلى اعتبارها ، فى نظرى على الأقل ، من أبعد الاشياء تأييدا للاديان ولفكرة الدين وأقربها إلى منازعة العلم الحديث سلطانه الذى لا يرد وسلطته التى لا تمحى ، لا تتجاوز حدانها اخباريات

لا بد من أن نخضع للنقد ، أو مسائل نسبية طبعت لطابع الاعجاز تأييداً للدين ؟
وما ذلك من الدين في كثير ولا قليل . على أنه رغما عن كل هذا أمضى في نقدي
ثابت القدم راسخ اليقين في نبالة قصدي وفي جلال الفكرة التي أدافع عنها .



الموضوع مشعب النواحي فأنض الجوانب والفكرات ، متكاثرة وعلى الاخص
اذ أخذتني بحشها من ناحيه التاريخ . فالشك في حقيقة المعجزات من أخص الاشياء
التي غزت الفكر الانساني منذ أبعد العصور . وكانت سلطة الكنيسة في المصور
الوسطى حائلا كبيرا وسداً منيعاً وقف بالمقابل دون النقد الحرقرونأ متواليه غير أن
العالم لم يثبت أن يستقوى على سلطان الكنائس خلال اقرن السابع عشر حتى بدأ
الناس يفكرون في أوائل القرن الثامن عشر في المعجزات ويشكون فيها ، لا في
امكان حدوثها فقط ، بل في امكان قبولها عقلاً . وقامت معركة في انجلترا تلتها أخرى
في فرنسا ، وكان الديستيون في انجلترا حماة الاولى ، والانسيكلاويديون في فرنسا حماة
الثانية . وعلى الرغم مما كان في ابحاث الانجليز من نقص ، وعلى ما كان في أقوال
الفرنسيين من تطرف ، فإن المعركة قد ربحها العلم وخسرتها المعجزات .

على انني لا أريد اليوم أن افتح هذا الباب فمن ورائه تيه بعيد المدى قصي
المجال قد يضل فيه العقل والمعجزات مما وقد لا يقع على نتائج يصح السكون اليها ،
وعلى الاخص في دور انقلابي كاللور الذي تجتازه عقليتنا وقد تمخا لطفيها كثير من
الاهام بقليل من الحقائق ، فكان من ذلك تركيب مزجي تسودت فيه مختلف النزعات
النفسية ، وترك العقل نسياً حتى حين .

لهذا نريد أن نحصر النقد في موضوعات خمس نتناولها بالبحث ونخصصها بالنقد
لنستطيع على الاقل أن نخلص بنتيجة يصح السكون اليها . ونترك في هذا البحث
كل ما لا يمكن تحديده كالبحث في وقوع المعجزات التي ترويه الاديان بالفعل
ونصيب صحتها من التاريخ والنقل الى غير ذلك من الابحاث التي لا يمكن تحديدها
والتي يضرب فيها العقل والخيال مزوجين بآثار المشاعر ضرباً تفضل فيه عقول ذوي
العقول . أما موضوعاتنا فهي :

أولاً — هل المعجزة ضرورية لقيام الأديان إطلاقاً

ثانياً — الإعجاز المطلق

ثالثاً — الإعجاز من ناحية اللغة

رابعاً — الإعجاز من ناحية العلم

خامساً — الإعجاز النسبي

أولاً — ضرورة المعجزات للأديان

اقترن قيام الأديان العظمى بروايات مختلفة في الإعجاز قيل بأنها كانت أفعال في نفوس الناس من أحكام الدين نفسه ومن إرشاداته ومبادئه العليا . فانشقاق البحر وأحياء الموتى وشفاء الأكه والأبرص وانشقاق القمر وانبجاس الماء من الحجر ونزول مائدة من السماء ، كل هذه الأشياء اقترنت بنشوء الأديان العظمى . على أن الأديان القديمة لها معجزاتها ولها رواياتها المختلفة . قديان الهند القديمة وبابل وأشور وفينيقية ومصر لها معجزاتها ولها خيالياتها ومثالياتها . إذن قديان الأرض كتابية وغير كتابية قد اشتركت جماعها في رواية المعجزات وقرنت وجودها بأمثال هذه الروايات التي لا يقبلها العقل في بعض جهاتها ، وهي داخلة في حد الامكان في جهات أخرى . فهل شفاء الأكه والأبرص معجزة في الوقت الحاضر ؟ وإذا كان هذا يعد معجزة فماذا يكون الحكم في شفاء المجذوم والمسلول وتحريك القلب الإنساني وإعادة الحياة إلى الجسم بعد أن تأخذه سكرة الموت الرهيب ؟ أهى معجزات أم يمكنت ؟ هي ممكنات نخرجها من حيز المعجزات مادام في استطاعة كل إنسان إذا عرف أسرارها أن يأتي بها .

على أن شيوع المعجزات في الروايات التي تروىها كل الأديان العظمى ومنها الأديان غير الكتابية ، من أكبر الأشياء التي تجعلنا نشك في صحتها جميعاً . فإذا أذكرنا على الأديان غير الكتابية معجزاتها فأى شيء يصدأهل هذه الأديان عن أن تنكر معجزاتها ، والموضوع واحد وأنبيأؤهم من حيث القداسة في نظرهم لا ينزلون عندهم عن أنبيأئنا عندنا ؟

ولديك مسألة أخرى . هى مسألة التشابه بين بعض المعجزات التي روتها أديان

غير كتابية ومعجزات روتها الاديان الكتابية . فاهل الهند ينسبون الى أحد أنبيائهم ويسمى « كريشنا » معجزات حوطت مولده شبيهة بالمعجزات التي تروى عن مولد عيسى حرفاً بحرف . فهل يمكن أن يكون منشأ هذه الروايات واحد وأن النصراني تقديساً لذاتية عيسى قد انتحلوا هذه الروايات انتحالاً ، ثم وهموا أنها صحيحة فثبتت في أصول الدين النصراني ؟ وهلا يمكن أن تكون كل المعجزات قد نشأت من طريق كهذه الطريق أو مشابهة له على الأقل ؟ وهذه الفكرة على الرغم من أنها تدخل في حدود الامكان ، فان لها من التاريخ اصدق الشواهد .

بعد هذا نتساءل : ماهي العلاقة بين الدين والمعجزة ؟ ولماذا لا يكون دين بغير معجزات ؟ وهل قيام الاديان مشروط على معجزات ؟

لا أستطيع مطلقاً أن أسلم بهذا . لان الدين في أصله عبارة عن تحديد للعلاقة التي يتوهمها الانسان قائمة بينه وبين الله . فأى شأن لتدخل المعجزة في هذا ؟

على أن حدوث المعجزة ذاتها أو على الأقل ضرورة الالتجاء الى معجزة ليكون الدين مقبولاً عند الناس فيه دليل أولى على أن فكرة الدين بعيدة عن نفوس الناس وأن الدين انما يلجأ الى قسر المعجزة ليلزم الناس الفكرة الزاماً آتياً من ناحية السلطة وحدها لا من ناحية الاقتناع بصحة الشيء في ذاته . ذلك لان حدوث المعجزة او الالتجاء الى احداث معجزة فيه دليل أولى على أن الناس قد كرهوا الدين وان الدين عجز عن اقناعهم من طريق العقل فاجأ الى نظام الطبيعة يخرق منه ما رأيت يد القدرة العلوية ليقول للناس « هوذا دليل على صدق ما أتيت به » .

على أن الدليل منقوص والحجة غير ناهضة . لان لجوء الاديان الى المعجزة كلجوء المستبدين الى السلطة ؛ كلاهما امر لا يدل على صحة الفعل أو الفكرة في ذاتها . لهذا يجب أن نمحو فكرة أن المعجزة ضرورية لقيام الاديان من ناحية التدليل . اما من ناحية السلطة فضرورية اذا كانت ممكنة . ولكن ضرورتها لا تبطل للدين من روعة الاقتناع العقلي مالا يجب أن يقوم دين على سواه .

ثانياً — الاعجاز المطلق

ما هو الاعجاز المطلق ؟ هو أن تشق القبر نصيفين يستوي أحدهما على جبل

والآخر في سهل ؟ هو أن تجعل الشمس تشرق من المغرب ؟ هو أن يحيي الموتى بعد أن
يوتوا ؟ وعلى الجملة هو أن تخرق نظام الطبيعة القائم على تلك النواميس
السرمدية الابدية .

والكلام في هذا الموضوع وجهان . الاول فلسفي صرف . والآخر علمي .
فنتكلم أولاً من ناحية الفلسفة .

يقولون بأن الله مخالف للحوادث وأنه قديم وإن علمه قديم . وإن العلم القديم
لا يمكن أن يتغير . لأنه إذا تغير أصبح مشاركاً للحوادث في علمها بالاشياء . فلا
شبهة مع هذا مطلقاً في أن نظام الكون قديم لأنه قائم على علم الله به . وهذا العلم
لا يتغير لافي الزمان ولا في المكان . واذن يكون النظام أبدي سرمدى لأن هذه
الصفات من لوازم العلم القديم الذي يتعلق به وجود الاشياء . واذن نعتقد أن
الاعجاز المطلق مستحيل لأنه مخالف لعلمه القديم منافي لنظام الكون الذي سبق
في علمه أن يكون على ماهو ، وأنه سيظل كما كان وكما هو ذئن وكما سيكون ، خاضعاً
للواميس التي اختصت بها المادة والقوة وتعلق بها علمه القديم . ولهذا يجب أن
نرفض فكرة الاعجاز المطلق رفضاً تاماً من ناحية الفلسفة ومن ناحية الدين نفسه .
لأننا اذا لم نرفضها لم نجد بداً من أن نسلم بأن علم الله متغير ، وكل متغير حادث
كما يقولون .

أما من ناحية العلم الطبيعي فلا حاجة بنا إلى سرد الأدلة والبراهين بعد أن
أثبت العلم أن للمادة والقوة قوانين تربطها ونواميس تحكمها وأن كل ما يرى في
الكون من الصور نتيجة لتفاعل المادة والقوة في خضوعها لهذه النواميس . وأن
هذه النواميس تجري على قاعدة من الدقة عجزت كل الآلات التي اخترعها
الإنسان عن أن تبلغ إلى جزء من دقتها . ناهيك بأن النظام شبكة متخالطة
الخيوط وأن اختلال ناحية من نواحيها يفسد لها في مجموعها . فلم يخل سائر التمر
حول الأرض قيد أنملة واحدة اختل النظام الشمسي كله وربما حلت بالكون
كارثة لا تقدر مداها . ولهذا يجب أن نرفض فكرة الاعجاز المطلق من ناحية
العلم رفضاً باتاً صريحاً

ناهيك بان العقل الانساني ، وعلى الاخص في كل أدواره اللاهوتية الاخيرة ،
 قد سلم بأن القدرة لا تتعلق الا بالممكنات . وما الممكنات عندي الا كل ماهو
 داخل تحت سلطان النواميس الطبيعية . ولست أدري كيف يملقون القدرة على
 الممكنات أزاء الله ، ثم يملقونها على المستحيلات أزاء الانبياء ؟
 هذه إحدى نزعات العقل الانسابي . يكفر بالحق . ثم يتلمس أسباباً لكفرانه ،
 ثم يدخل في دور الاعتقاد بما كفر به . فاذا ثبت اعتقاده فلا مزعرع له من
 شيء إلا ثورة فكرية تحطم مابنى من أوهام على مر العصور .

ثالثاً — الاعجاز من ناحية اللغة

ليس الاعجاز من ناحية اللغة بداخل في منطقة الاعجاز المطلق . والا
 لرفضنا أيضاً . فالاعجاز لغة وأسلوباً وبلاغة نسبي غير مطلق . فالقرآن معجز
 للعرب ولاهل العربية . ولكننا لانستطيع مطلقاً أن نقول بأنه معجز لمن يتكلمون
 غير العربية من اللغات . معجز على نفس القاعدة التي تجعلنا نعتقد أن « الفردوس
 المفقود » للثمن معجز لاهل الانجليزية ، وأن إلياذة هوميروس معجزة لاهل
 اليونانية وأن الكوميديا المقدسة لدانتى معجزة لاهل اللاتينية . وكما نقول بأن
 القرآن غير معجز لاهل هذه اللغات ، نستطيع أن نقول بأن « الفردوس المفقود »
 والاياذة والكوميديا غير معجزة لاهل العربية . لان الاعجاز من هذه الناحية
 يجب أن يكون في ضلله الشيء ومن طبيعته .

وكما أن اعجاز القرآن نسبي بالقياس على ما قال العرب وما ضربوا فيه من
 فنون البلاغة والاساليب ، كذلك تجد أن فردوس دانتى معجز لاهل الانجليزية .
 وعلى هذا ففس كل ضروب الكلام .

وللاعجاز النسبي طرفان . طرف بالغ منتهى الجودة . وطرف بالغ منتهى
 القبح . فكما أن القرآن معجز من الناحية الاولى لكل ماهودونه ، كذلك نقول
 فهاهنا « باقل » أو ركاكة الجوهري معجزة لكل ماهو فوقها .

على انك في الاعجاز النسبي حري أن تقول ماشئت ، وأن تطالب فيه بما
 تشاء . أما اذا اجتزت هذه العقبة لتدخل الى الاعجاز المطلق فانك لست ببحر ،

لأنك هنالك تواجه النظام الطبيعي الأبدى القائم على العالم القديم بما سوف يكون الكون ونظامه ، كالحق في ثباته وقوته ، يرد تخيلاتك اليك حذيرة كلية .

على أن الاعجاز النسبي من ناحية اللغة قائم على الأوضاع الانسانية . فاعجاز القرآن بلاغة قائم على الأوضاع التي اصطلح عليها العرب أنها بلاغة . وكذلك اعجاز فردوس ملتن قائم على أوضاع الانجليزية واللياذة على أوضاع اليونانية والكوميديا على أوضاع اللاتينية . فإذا اعتقدنا بغير هذا وقفنا على عتبة الباب الموصود باب الاعجاز المطلق ، لنظل هنالك الى آخر الدهور لانستطيع التقدم خطوة واحدة . فإذا تراجعنا قائمًا نكون قد رجعنا الى شيء من الحق ودخنا المنطقة التي يصح أن تتفاضل فيها الأوضاع الانسانية .

رابعاً — الاعجاز من ناحية العلم

كذلك لاعتقد أن الأديان جماعها قد أعجرت من ناحية العلم . فكل الأشياء الدمانية التي تعرضت لها الأديان الكتابية قد جرت فيها على ما كتبت من الأديان غير الكتابية من الحوادث والأخباريات والتعاليم ، حتى لقد تساوت كل الأديان منذ العصر البابلي وما قبله في الاعتقاد بأن السماء قباء عظيم وأن من فوقها بحر متلاطم الأمواج وأن السماء زينت بمصابيح تخرن في النهار وتعاق في الليل ، وعلى هذا لا نريد أن نتكلم في اعجاز العلم طويلاً لأن الأديان لم تعجز الناس من هذه الناحية لانسبياً ولا اطلاقاً .

خامساً — الاعجاز النسبي

وهذا هو حد الامكان قائماً على الأوضاع الانسانية . ولست أجد من سبب حتى الآن يحملني على أن أعتقد بغير هذا حتى لدى النظر في إعجاز القرآن . ومادام الاعجاز خارجاً عن حد الاطلاق مقيداً بما تواضع عليه الناس ، فلكل لغة معجزاتها الاسلوبية من غير أن يكون هذا الاعجاز فيها دينياً ، ومن غير أن يتقيد الدين فيها بالاعجاز .

اسماعيل مظهر

تاريخ سوريا ولبنان

جزآن من القطع الكبير تأليف عمر أبو النصر بيروت — لبنان الكبير.
 ملأ الكاتب ٣٨ صفحة من جزئه الاول في سرد تاريخ سوريا ولبنان حتى
 الفتح العربي وكان يجب عليه اما أن يتوسع في هذا الموضوع ليتمكن لطلبة المدارس
 الذين كتب لهم الكتاب متابعته والا فكان الاجدر به صرف النظر عن بحث
 هذه الفترة بهذا الايجاز الذي لا فائدة منه . وقد اعتمد في نقل المعلومات التي أدلى
 بها في هذه الصفحات على المراجع الاجنبية وأما بقية الجزء الاول فاعتمد على
 المراجع العربية في كتابته واجهد نفسه في الاستنتاج . واني آخذ عليه استسلامه
 للنصرة « العربية » التي الجأته الى التماهي في بعض آراء غير صحيحة حتى انه ناقض نفسه
 بنفسه في غير موضع واحد فمثلا قال « تستطيع أن تبحث فلسفتهم (العرب)
 في الشعر . قال شعر اذن هو أول مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية القوية لتلك الامة
 البدوية العربية وهل كانت تقوم الحضارة الاسلامية التي ظهر فيها من ظهر من
 العلماء وافذاذ الرجال لو لم توجد البداوة العربية التي سيطر عليها امرؤ القيس والناطقة
 (ص ٤٠) » يقول هذا في نفس الكتاب الذي يخلص فيه أقوال الدكتور حسين
 هيكل ويوردها في مجال قوله . فيقول « مثل هذه الحياة الاقتصادية التي تقضى
 على أهل شبه الجزيرة بالعزلة والتجوال وتحرم عليهم العمل لكسب الرزق ولا تيسر
 انشاء المدن الكبيرة ، ليس من طبيعتها ان تقرر حضارة ثابتة القواعد باقية الاثر ، ذلك
 لان الحضارة ثمرة من ثمرات الاجتماع في الحضروهي لا تتفق وحياة البادية ص ٩٩ »
 وتقرأ له في ص ١٠٢ « كل ذلك جعل من العربي رجلا خياليا لا يعرف من دقائق
 حياة الوجود الا قليلا فهو مع هذا يرد كل ما في الوجود الى شخصه أما
 غير هذا وما اليه من آثار الفكر والفن ومن ثمرات الحضارة فلا تكاد تحسه في الشعر
 العربي قبل الاسلام والحب كما تعلم ليس الاحديث بقاء النوع ، كما ان
 الكفاح ليس الاحديث الاحتفاظ بالحياة (ص ١٠٣) » تلخيه ا عن هيكل
 قال ايضا في ص ٣٩ « ولم يكن العرب تجارا ولكنهم كانوا حماة تجارة » وفي
 ص ٩٨ « كانت (بلاد العرب) تعتمد في قوامها الاقتصادي على التجارة » وأريده

أن أسائل حضرة كيف كانت بلاد العرب « طريق التجارة بين الأمم المحيطة بها » فهل يقصد أنها تفصل بين سوريا وما بين النهرين ؟ وهل دولتا الفرس والروم كانتا تخشيان شرازم العرب فتطلبان حماية تجارتها منهن حين كانتا في أبان مجدهما ؟ أم هو يشير إلى رحلة الشتاء والصيف وكانت تتم بين الاقطار العربية ؟

كذلك يقول ص ٤١ « انك تجد في عصر الراشدين صورا من الوطنية جديدة » وفي ص ١١٢ يقول « لم يكن في عصر الراشدين سياسة بل دولة دينية » وعند نقايه عن المصادر العربية لم يدقق كثيراً لذلك تقرأ له في ص ٤٧ « وتوفر المال في أيام عثمان حتى لقد بيعت الجارية بوزنها » . ويقصد بالطبع ذهباً أو بالاقبل فضة إذ لا يعقل أن يزنها بالحديد أو بالرواحص ، وإذا علمنا أن مميزات جمال الأنثى كان ترهل الجسم وثقل الوزن قدرنا هذا الوزن بقنطار ونصف من الذهب أو الفضة على أقل تقدير وكان هذا حسب قوله « وقت أن كان يبيع الفرس بعشرة الآف دينار » (خمسة الآف جنيه) والبهير بألف والنخلة بمثل ذلك « فهل يمكن للمقاريء تصور نخلة ثمنها خمسمائة من الجنيهات ؟ اذن لا نسرف لو قلنا أن ثمن النخلة الواحدة كان يتجاوز القرش الصاغ وقياساً على ذلك يكون ثمن الرغيف الواحد من الخبز دولاراً واحداً وبضع سنتات .

كذلك يقول في صفحة ٧٤ أن تيمورلنك طلب من دمشق (وجدها) دفع غرامة حوالى منتصف القرن الخامس عشر المسمى بمقدارها مليون دينار (نصف مليون جنيه) ولكن تيمورلنك حث بالوعد وأخذ يجمع ما اتصل اليه يده من المال وكان هذا في الوقت الذي عمت فيه الفوضى بالبلاد وحين كان الدينار قيمة كبيرة جداً .

وبحاول حضرة في ص ١١٠ أن يحيط من شأن فندر بليت وهو جوستنس وروكفلر وروتشايد وفورد وأمثالهم من (الملتيمليونيرات) أصحاب الملايين العديدة فيقول أن حضرة المحترم خالد القسرى عامل بنى أمية في العراق كانت خلته ١٣٠٠٠٠٠ درهم في العام .

كذلك يقول أن عبد الملك بن مروان تعهد أن يدفع لملك الروم كل يوم ألف دينار (خمسمائة جنيه) وألف فرس وألف مملوك وحسن الحظ أنه وقف هنا ولم يقل أنه فعل ذلك لمدة سنين . راجع ص ١٢١ .

كذلك حاول حضرته أن يكون دقيقاً في سرد الأرقام فقال إن عدد سكان انطاكية في العهد الروماني بلغ ٣٠٠.٠٠٠ نسمة ص ٣١ وأنه هلك في بيروت من زلزال ٣٠.٠٠٠ من السكان عام ٥٥٥ ق . م . ص ٣٤ وكان عدد المردة في لبنان ١٢.٠٠٠ جندي ص ٥٣ وكان أعراب سوريا في عهد بني أمية لا يزيدون عن ٢٠٠.٠٠٠ نسمة بين ٤.٠٠٠.٠٠٠ من السوريين ص ٥٥ . وكان جيش فر الندين الثاني مكوناً من ٣٠.٠٠٠ جندي ص ٨٤ . وربما تكون هذه الأرقام صحيحة ولكنه لم يتفضل بالإشارة إلى كتاب الإحصاء الذي نقل عنه وأظن أن عنده الذي بسطه تحت عنوان « كلمة لا بد منها » في صدر كتابه الثاني غير مقبول فقد قال « اعتمادنا في تأليف الكتاب الأول والثاني على كتب كثيرة من عربية وفرنجية لا فائدة من الإشارة إليها . ذلك لأن الحوادث التاريخية لا تختلف في أكثر المؤلفات لا كثيراً ولا قليلاً » .

وهو يرى في كتابه التي لا بد منها أن « فضل المؤرخ ليس في سرد الوقائع فحسب وإنما هو في تفسيرها » يقول هذا في الوقت الذي ينقل فيه تخطيطات ساحق الماني (لم يذكر اسمه) دون تمحيض واليك بعض ما نقله عن ذلك الألماني .

« تتراوح درجة ثروة الفلاح في حوران (عام ١٨٠٥) ما بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ ر ٢٠٠٠ غرش إلا أنني أعرف رجلاً يقدر ثروته ب ١٠.٠٠٠ غرش (ص ١٠ ج ٢) وقد حدثني أحد الرقيق أنه لم يستطع أن يتزوج لأنه لا يملك ثمن العروس وثمنها يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ غرش (ألم تكن للمرأة قيمة كبيرة في ذلك الوقت ؟) وعلى الفلاح أن يدفع من الضرائب كل سنة ما يقدر ب ٢٠٠٠ غرش (ونعني هذا أضعاف ثروته) ومتى دفع كل ما عليه لا يبقى شيء لديه من غلال حنطته (ولكنك تقرأ أثر ذلك ما يناقضه) والفلاحون في حوران على وجه الأجمال يبيعون غلالهم من الدولة (فكيف يبيعون ما لا يتبقى شيء منه لديهم) .

وينقل عنه أيضاً « أن كل ما كان يتقاضاه كل من المعدنين الاروام مشاهرة لا يزيد عن ١٠ — ٢٠ غرشاً وكانت أجرة الغزال اليومية من ١٥ — ٢ غرش وكان رطل التفاح (أقتين) بعشرة بارات (ربع قرش) والبطيخة بثلاث بارات (٧٥ ر من القرش) وأجرة الركوبة في اليوم ١٥ قرش وأجرة مشال ٢٠ أقة من العفش قرش واحد وان ثمن ثلاثين اسفنجة قرشا واحدا » كل هذا الرخص كان موجودا وقما كان يدفع الفلاح ٢٠٠٠ قرش ضريبة في السنة عن رأس مال يتراوح بين ٥٠٠ و ٢٠٠٠ قرش .

وأظن أنه اعتمد في كتابة صفحات جزئه الثاني الى رقم ٨٧ على تاريخ جودت والشهابي وزيدان وخطط كرد علي لان هذه الصفحات لا تحوى إلا تنقلاً مأخوذة من هنا وهناك وأما بعد ذلك فقد خصص الصفحات حتى ١٠٣ في الحملة على الدولة العثمانية انتقاماً « للعرب » الذين قدموا لها ٢٤٠٠٠٠ جندي مات منهم ٤٠٠٠٠ في الحرب وأصبح ٥٠٠٠٠ منهم عاجزين ولست أعرف عدد الجيش العثماني الذي اشترك في الحرب ولكني لا أتصور أنه زاد عن ١٠٠٠٠٠٠ جندي كثيراً ولا أزال أتساءل كيف يمكن لأمة لا يزيد تعدادها عن ٣٠٠٠٠٠٠ نفس أن تقدم جيشاً عدده ٢٤٠٠٠٠ كلهم بين ١٨ و ٤٥ سنة ويقول أيضاً أن خسارة السوريين بلغت ٣٥٠٠٠٠ نفس منهم ١٢٠٠٠٠ ماتوا جوعاً و ١٢٠٠٠٠ ماتوا من الحميات والذي أعرفه عن ثقة حر أن عدد الذين قضوا من الجوع في لبنان الاجرد يقدرون بأكثر من ١٠٠٠٠ نفس ولا يزيدون عن ٢٠٠٠٠ نفس وأما في الولايات الخصبية فعدد الموتى قليل جداً لتوفر الحاصلات الضرورية هناك، وأما المرضى فلا أعتقد أنهم أحصوا فوجدت أن عددهم ١٢٠٠٠٠ نفس! فمن أين أتى حضرة بهذه الأرقام .

وبعد حملته العربية أخذ في الاشادة بفضائل فرنسا وعزى اليها في ص ١٠٠ اطعام الجياع وتموين لبنان وانشاء مخازن للاعانة وانها صرفت من مالها الخاص في تغذية لبنان (لاسوريا) ما يساوي سبعة ملايين فرنك ولكنه لم يعطى على الامير يكان ولا بكامة شكر عرضية ، وهم الذين أنفقوا ما أنفقوا (وأستدرك أنني

عاجز عن تقدير ما أنفقوه) مدة الحرب وبعد الهدنة. فهل السبب في مدح فرنسا دون غيرها هو تقرير الحكومة اللبنانية تدریس كتاب « سوريا ولبنان » لمدارس الجمهورية ؟ الجواب على ذلك يعرفه السيد عمر أبو النعمر دون غيره .

*
* *

جبل قاف

مراجعة وتلخيص للكتاب الموسوم (بالوافي الكاف) الموضوع لتفسير المأثورات الإسلامية حول (جبل قاف) وحل مشكلاتها وتأويل اشاراتها . تأليف سماحة العلامة حجة الاسلام السيد هبة الدين دامت بركاته . نشرته ادارة مجلة (المرشد) هدية للمشاركين . طبع بمطبعة النجاح في بغداد عام ١٣٤٦ هـ الموافق ١٩٢٧ م (١)

صدر حجة الاسلام كتابه الطريف بشكائين أولها رسم كرة أرضنا ومخروط ظلها المتولد من مقابلة الارض لقرص الشمس وخسوف القمر داخل ظل الارض خسوفاً كلياً وخسوفاً جزئياً والثاني رسم الافلاك بحسب الهيئة الجديدة لقرص الشمس وسط المركز حولها السيارات وافلاكها البيضية فأقربها الى الشمس عطارد ثم الزهرة ثم أرضنا ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل (داخل حلقتها) ثم اورانوس وآخرها نبتون ثم كتب مقدمة بقلمه السيل يقول فيها ان الاخبار المأثورة في شأن جبل قاف صادرة على طريقة الاشارة والتمثيل ولهذا أصبحت ظواهرها غريبة الشكل تتباعد عنها الطباع والاسماع فيتخذ الذين في قلوبهم مرض أمثال هذه الظواهر وسيلة الى التشكيك والتضليل والاستخفاف بالآثار الإسلامية ولذلك (اندفع) سماحته الى تفسير تلك الظواهر المأثورة وكشف أسرارها المستورة (والتوفيق) بينها وبين الكشفيات الجديدة عند المتأخرين من علماء الهيئة والفلك ويلى ذلك متن الكتاب

(١) الكتاب في ذاته قليل القيمة ولكن السبب الذي جعلنا نوجه اليه كل هذا الاهتمام هي فكرة التأويل لان تأويل النصوص على الطريقة التي اتبناها المؤلف مفسدة للدين والعلم معاً . لهذا نقدنا الكتاب لنقضي بذلك على طريقة شاعت في القرون الوسطى وكان لها أسوأ لآثر على تكوين العقيدة الانسانية

وهو فصلان أولهما يبحث في الآثار الإسلامية حول جبل قاف وفيه يقول ان الاخبار المأثورة وتفسير هذا الرمز الغريب تبلغ عشرين رداً أو أكثر اوردها كالاتي ثم شرع في الفصل الثاني في تفسيرها

١ — تفسير الحافظ (القرن الثالث) في شرح الآية حمسق اذ قال — بعد اتيانه بالاسنادات القوية — ان ق جبل محيط بالدنيا من زمرد اخضر خضرة السماء من ذلك الجبل

٢ — بصائر الدرجات للصفار (القرن الثالث) خلق الله جبلاً محيطاً بالدنيا من زمرد اخضر وانما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل

٣ — معاني الاخبار لابن بابويه القمي (القرن الرابع) من جبل محيط بالارض وخضرة السماء منه وبه يمسك الله الارض أن تميد باهاها

٤ — الدر المنثور للسيوطي (القرن التاسع) جبل من زمرد محيط بالدنيا عليه كنفاء السماء

٥ — الدر المنثور وبحار الانوار لباقر (القرن الثاني عشر) جبل محيط بالارض

٦ — تفسير القمي جبل محيط بالدنيا من وراء يأجوج ومأجوج

٧ — البحار والدر المنثور عن ابن عباس جبل محيط بالعالم

٨ — مجمع البيان للطبرسي (القرن السادس) جبل محيط بالارض من زمردة

خضراء وخضرة السماء منها

٩ — المقطورة المردية والاقاليم والبلدان جبل محيط بالارض كحاطة يماخر

العين بسوادها

١٠ — باب البلدان عن الاسرائيلي اذ سأل النبي عن السبب في خضرة السماء

فلجاب اخضرت من جبل قاف

١١ — البحار والدر المنثور عن ابن عباس خلق الله من وراء هذه الارض

بحراً محيطاً بها ثم خلق من وراء ذلك جبلاً السماء الدنيا مترففة عليه ثم خلق من

وراء ذلك الجبل ايضاً مثل تلك الارض سبع مرات ثم خلق من وراء ذلك بحراً

محيطاً بها وهكذا حتى علس سبع ارضين وسبعة ابحر وسبعة اجبل

١٢ — البحار والدر المنثور عن ابن عباس وراء قاف سبعة بحار كل بحر خمسمائة عام ومن وراء ذلك سبع أرضين يضيئ نورنا لأهلها ومن وراء ذلك سبعين ألف أمة

١٣ — باب الجبال من كتاب البحار إن لله من وراء جبل قاف أرضا يضاء كالفضة المجلوة طولها مسيرة أربعين يوما للشمس

١٤ — تفسير القمي وغيره الآية (رب العالمين) خلق الله ثلاثمائة عالما وبضعة عشر عالما خلف قاف وخلف البحار السبعة لم يعصوا الله طرفة عين قط ولم يعرفوا آدم ولا ولده وكل عالم منهم يزيد عن ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد

١٥ — المختصر والبحار عن الإمام الرضا. لله خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء فيها خضرة منها خضرة السماء (والنطاق هو الحجاب) والله وراء ذلك سبعون ألف عالم عددهم أكثر من الانس والجن

١٦ — الدر المنثور عن كعب الاحبار تفسير (حتى توارت بالحجاب) قال حجاب من ياقوت أخضر محيط بالخلائق فمنه اخضرت السماء الخضراء واخضر البحر من السماء فمن ثم يقال البحر الاخضر

١٧ — البحار والدر المنثور عن ابن مسعود قال مثل كعب

١٨ — البحار وجامع الاخبار للشيخ الصدوق سئل النبي عن عرص قاف وطوله واستدارته فقال مسيرة الف سنة (الى أن قال) وزجه من زمردة خضراء له ثلاث ذوائب من نور ذؤابة بالشرق وذؤابة بالغرب والإخرى في وسط السماء

١٩ — روضة الوافي للكاشاني وبصائر الدرجات للصفا في جبل محيط بالدنيا من زبرجد أخضر وخضرة السماء من ذلك الجبل وخلق خلقه خلقاً لم يفترض عليهم شيئاً مما افترض على خلقه من صلاة وزكاة الخ

٢٠ — باب العوالم كتاب البحار للجلبي وراءه عالم لا يصل اليه أحد غير علي بن أبي طالب فهو المحيط بما وراءه وعنده به كنهه بدنياً هذه ويرى سماحة المؤلف فيما سبق ما يأتي:

١ — انها اثباتات علي وجود جبل قاف

٢ - ضعف أسانيدھا ظاهرا

٣ - استنكار العقول لجملة من هذه الظواهر لجزم العقول بانتفاء جبل من الضخم يحيط كالحائط بالأرض ويقدر بمسيرة ألف سنة وهو من زمرد أخضر تؤثر خضرته في السماء وخلفه كذا وكذا من العوالم والاقوام وأشياء تخالف أصول الهيئتين القديمة والجديدة وتناقض مقالات السواح والرحالة

٤ - لذلك لا يجد لديه مناصا من تأويل الظواهر بمعنى يتفق مع الفن ويصدق

العيان والبرهان

ولكي أخفف على القارئ عملية الوقوف على قيمة هذه البراهين العشرين سأضع أرقامها بعد الكلمات الموجودة في هذه البراهين القوية فتمد ورد ما يفيد أن قانا

في البراهين من ١ - ٩ و ١١ و ١٣ و ١٩

جبل

في ١٨

طوله مسيرة ألف عام

له ثلاث ذوائب من نور واحدة بالشرق والثانية بالمغرب وأخرى وسط

في ١٨

السماء

في ١١

ببحر يحيط بالأرض

في ٣ و ٥ و ٨

بالأرض

في ٩

كالخاطة بياض العين بسوادها

في ٧

بالعالم

وانه محيط

في ١ و ٢ و ٤ و ١٩

بالدنيا

في ٦

من وراء ياجوج وماجوج

في ١٦ و ١٧

بالخلائق

في ١ و ٤ و ٨

زمردة

في ٢ و ١٥ و ١٩

زبرجدة

وانه عبارة عن

في ١٦ و ١٧ و ١٨

ياقوتة

في ١ و ٢ و ٨ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٩

وأن لونه أخضر

وأن خضرة السماء منه في ١ و ٢ و ٣ و ٨ و ١٠ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٩

وأن خضرة البحر من خضرة السماء في ١٦ و ١٧

وأن به يمسك الله الأرض أن تميد بأهلها في ٣

وأن السماء الدنيا مرفرفة عليه في ١٤ و ١١
على كنفه في ٤

كل منها ٥٠٠ عام خلفها ٧ أرضين يضيء نورها لأهلها

ومن وراء ذلك ٧٠٠ أمة في ١٢

٧ بحار خلفها ٣٠٠ وبضع ١٠ عالمًا لم يعصوا الله طرفة عين

قط ولم يعرفوا آدم ولا ولده وكل عالم منهم يزيد عن

٣١٣ آدم وما ولد في ١٤

بيضاء كالفضة المجلوة طولها مسيرة أربعين يوماً

للشمس في ١٣

وان خلفه أرض

مثل تلك الأرض ٧ مرات ووراء ذلك محيط بها بجزراً

وهكذا حتى عد ٧ أرضين و ٧ أبحر و ٧ أجبل في ١١

خلقاً لم يفترض عليهم شيئاً مما افترض على خلقه من صلاة

وزكاة الخ في ١٩

سبعون ألف عالم عددهم أكثر من الانس والجان في ١٥

عالم لا يصل اليه أحد غير علي بن أبي طالب فهو المحيط بما وراءه

وعلمه به كله بدنيانا هذه في ٢٠

أفليت هذا لا سايد براهين علمية كافية تثبت صحة النظرية التي يحاول

سماعته اثباتها حتى لا يتشكك الناس في هذا الاثر الخالد وهلا يكتفى الملحدون

(بالتطابق التام) الظاهر جلياً في هذه البراهين فلا يستخفون بالآثار الاسلامية

بعد الآن ؟

وأراد الاستاذ حجة الاسلام ننمنا الله به أن يخاطب المارقين عن الدين

الحنيف على قدر عقولهم فسخر فصله الثاني لاثبات وجود جبل قنف اثباتاً استخرج

من معتقدات الكفرة التي يسمونها علوماً فقال نفعا الله تعالى بعلمه :
 « يقول البعض أن جبل قاف يمتد من بحر قزوين إلى البحر الاسود وأن
 كلمة قفقاز منتحلة من لفظ (قوه قاف) وأصلها (كوة قاف) وهي فارسية معناها
 جبل قاف ومع أن وضع الجواد خلف العربية في هذا التحليل قد يستسيغ البعض
 لم يرض عنه حجة الاسلام لانه لا يكفل شرح الماثورات الاسلامية الا ما جاء
 في الرواية السادسة « جبل محيط بالدنيا من وراء يأجوج ومأجوج » وهل يمكننا
 نحن الجاهل الوصول الى ما وصل اليه حجة الاسلام من « أن جبال القفقاز تحيط بالدنيا
 وراء يأجوج ومأجوج » ولكن مادام الشيخ قد قال ذلك وجبت علينا طاعته .
 وحل الشيخ الجليل الذي توصل اليه متين جداً وهما هو .

« انك لو تصورت كرة الارض مع ظلها الحادث من استتار الشمس خلفه
 لوجدت الظل شبيهاً مظلماً على شكله المخروطي قاعدته الوسيعة عند الارض
 ورأسه الدقيق نحو السموات على هيئة جبل عظيم » هذا هو جبل قاف وقد أتى
 بقرائن عشر تبين رأيه الفريد .

١ — لكل أرض جبل قاف ، قفاف ليست علماً شخصياً بل هو اسم جنس
 متكرر الافراد وقاف من مادة قوف ومعناها تبع وجوازاً خذ من قفى فهو قاف
 نور الشمس بكل سرعة وعلى الدوام .

٢ — معلوم أن المراد بالدنيا والعالم والخلائق هذه الارض وما عليها فظل
 لارض محيط بها وما عليها (على التوالي) كحاطة بياض العين بسوادها .

٣ — وصف ارتفاع جبل قاف بمسيرة الف سنة يطابق ارتفاع الظل وهو
 ٨٠٠٠ ميل (معنى هذا أن الانسان يسير ٨٠٠ ميل في السنة أو بمعنى آخر
 ميلين في اليوم ؟)

أما كون السماء الدنيا طرفها عليه فمعنى ذلك فلك القمر (كما ارتآه المتقدمون)
 ٤ — الدوائب الثلاثة تنطبق على مخروط ظل الارض .

٥ — تشبيه الجبل بالزمرد والبرجد والياقوت الاخضر معناه أن جبل قاف
 في الخصرة كهذه الاشياء في لونها

- ٦ — خضرة السماء من جنس خضرة الجبل. هذا هو المعنى وليس معناه أنها مأخوذة من خضرة الجبل ذاتها .
- ٧ — يحملك لاجل تفهم معنى البحار والارضين السبعة الى كتابه « الهيئة والاسلام » ويصفه بأنه أثمن كتاب في عالم المطبوعات ص ١٥ .
- ٨ — كلام عن تعدد جبل قاف لم أفهمه عجزاً منى .
- ٩ — خلفه أرض بيضاء كالفضة معناها القطب .
- ١٠ — وراءه عوالم لا يعرفون آدم معناها ما وراء مجازى السيارات السبعة . وقد قرظ الكتاب الذى نخصته لك أعلاه من أسمائه صاحب الكتاب : « استاذ العلماء وعلامة الادباء زعيم المجتهدين المجاهدين ورئيس الفقهاء لروحانيين حجة الاسلام وركنه وحامى الشرع وحصنه الحاج السيد مصطفى الكاشانى النجفى » .
- أليست هذه الالقب أعظم وأنخر من :

Mustafa El Kashane

LL. D., D. C. L., PH. D., D. Litt., O. E., D. D., M. D., D. Com
D. D. S. etc.,

قلنا اتركوا الطابق مستوراً فلم تسمعوا فذوقوا، اذن جزاء ما اقترفته أيديكم من ترجمة علم الفلك بمنشوراتهِ وظلاله وهبابه . وهذا أقل ما تستحقونه فكفروا
ذن عن سيئاتكم بقراءة هذا التلخيص .

بحسين محمود

بين الصحفي والمجرب

ترجمة المصطلحات العلمية

حول نقد سابق (١)

* * *

قرأت ما كتبتموه في « المصور » حول بعض الاصطلاحات التي استعملناها في « مجلة التربية والتعليم »

اننا نتفق واياكم كل الاتفاق في القول بوجوب « تكوين أكاديمي مختلط للترجمة والتعريب يرجع اليها في تقرير المصطلحات » كما اننا نسلم وجوب جعل مقر هذا الاكاديمي في مصر وذلك ليس « لتوسطها من حيث الموقع الجغرافي بين البلدان الشرقية » فحسب بل لكونها أرقى البلاد العربية وأغناها من حيث المال والرجال أيضاً.

فعند ماسمعنا قبل مدة لتشجيع حركة « مؤتمر الثقافة العربية » أوضحنا اعتقادنا بضرورة عقد المؤتمر في مصر واقترحنا أن توضع مسألة « توحيد المصطلحات العلمية » في مقدمة المسائل التي تناوئها مذكرات المؤتمر للتوصل إلى إيجاد أجمع الطرق لحل هذه المعضلة ، وسعياً وراء تكوين « عضوية » ثابتة تقوم بهذه المهمة .

ولذا قد اغتبطنا جد الاغتياب بازدياد اقتناعكم « بوجوب تكوين هذه الاكاديمي ».

هذا ولا بد من أنكم تعلمون أن الاكاديميات لا تتمكن عادة من إيجاد المصطلحات ووضعها ، بل أنها تجمع المصطلحات المقترحة والمستعملة وتنقدها وتختار الاوفق منها فتقررها .

فكل المساعي التي تبذل في إيجاد المصطلحات ومناقشتها تنهيء الاكاديمي

(١) نشر النقد الذي يدور حوله هذا البحث في عدد فبراير الماضي من المصور .

المواد الانشائية التي تحتاج اليها وتسهل مهمتها وتخدم نجاحها .
وبهذا الاعتقاد رأيت أن أغتم الفرصة التي أوجدتموها لنا بفتحكم باب
المناقشة والمداولة في الاصطلاحات التي استعملناها لاوضح رأيي فيها :-
ان كل من يتوغل في العلوم الحديثة ويحاول أن يعبر عن مسائلها تعبيراً
صحيحاً في كتاباته ولا سيما في دروسه ومحاضراته ، يجابه مشاكل كبيرة من جراء
نقص المصطلحات فيختار أحياناً في أمره إذ يتحتم عليه أن يضع المعنى فوق كل
اعتبار ، فيسعى للتعبير عنه تعبيراً واضحاً بالصورة التي تخطر على باله كلها . وهو
يستعمل مؤقتاً الاصطلاحات التي يجدها أقرب إلى المقصود — وان لم يرتح اليها
أماً — على أن يبقها عرضة للبحث والتجربة الى أن يتسنى له إيجاد أفضل
منها مما يكون أكثر ملائمة للمعنى وموافقة للمقصود ، حتى اذا ما وجد اصطلاحاً
جديداً أوفق مما سبق له استعماله ترك الاول مستعيضاً عنه بالثاني .

هذا ما اعتدنا أن نفعله نحن في دروسنا ومحاضراتنا وهذا ما اخذنا نعمل
بتقتضاه في مقالاتنا . فكثيراً ما غيرنا التعبيرات التي استعملناها في دروسنا كما
تنا سنبقى مستعدين لتغيير الاصطلاحات التي نستعملها في مقالاتنا .
فنحن وان كنا مرتاحين الى بعضها فاننا لانزال مترددين في بعضها الآخر
وعلى كل حال لسنا متمسكين بها كلها .

واعتقد أنه يترتب على كل من يتوغل في العلم أن يسلك خطة مماثلة للخطة
المتبعث عنها ، ولا ينسى أننا لانزال في « طور البحث والتجربة » في أمر
الاصطلاحات . فعليه أن يعتبر الاصطلاحات التي تخطر بباله كأوضاع مؤقتة
يجب أن تبقى معرضة للبحث والنقد قبل تقريرها أو رفضها نهائياً ، ولا يحسبها
من الـ « حقائق الراهنة » التي يجوز التمسك بها تمسكاً قاطعاً والتي يسوغ سد
باب الاجتهاد في وجهها سداً محكمًا .

أقول هذا ، لانني أراكم تميلون الى استعمال « أساليب بئانه » في أمر
الاصطلاحات فتكتبون « يقول كذا وحقيقتها كذا » ولا شك في أنكم

لا تجهلون أن الاصطلاحات ليست من الحقائق، فمناقشتها اذن لا يجوز أن تجري مجرى « مناقشة الحقائق الراهنة » .

*
* *

بعد هذه المقدمة التي رأيت من الضروري أن أقدمها لايضاح رأيي في الاصطلاحات بوجه عام أعود إلى أساس البحث وأشرح ما أراه في كل كلمة على حدة . ولا بد لي من الشروع بكلمة « الفلسفة » إذ أنكم وجهتم أحد شبهاتكم اليها . فقلتم إن مثل هذه الكلمات « مما لا يمكن أن تقبلها أساليب التعريب العربية » وأن في ذلك « فتح لباب تلوح منه اللغة العربية ألوية يلبو بها الكتاب مجوناً »

فعلى أن أصرح قبل كل شيء بأننا لم نستعمل هذه الكلمة إلا بناء على اقتراح الشيخ عبد القادر المغربي ولا شك في أنكم لا تجهلون مقامه في الأدب العربي ودرجة توغله في تدقيق أساليب الاشتقاق والتعريب . انني لأقول ذلك بقصد « رد الحجة بالسلطة » ولا بقصد « الاحناء وراء الشهرة » بل أقول ذلك لابين لكم ان الكلمة مما يحتاج الى التدقيق والمناقشة بروح يميل الى « التساهل والقبول » أكثر مما يلتزم « التشدد والاعراض » وانها لا تستحق النعت بتلك النعوت العنيفة التي أسرقتم فيها من غير تدقيق أو حساب .

تقولون « لماذا لا نجري على القوائد التي انتهجها العرب في التعريب » فقالوا « قاطيغورياس وأنا ليطيقا وفيزيقا » نحن لم نحاول قط أن نخالف « القواعد التي انتهجها العرب في التعريب » بل على عكس ذلك . ما اخترنا كلمة « الفلسفة » الا جرياً على تلك القواعد . نعم ان أسلافنا استعملوا كلمة « قاطيغورياس » ولكنهم هل استعملوها في استعمالها ؟ كلا . فانهم لم يلبثوا أن ترجوها بكلمة « المقولات » وصاروا يقولون « المقولات العشر » و « المقول في جواب ماهو » و « المقول في جواب أين » حتى أنهم قالوا « المتولية » فخللت كلمة قاطيغورياس مهملة ومطبوقة في زوايا بعض

كتب المنطق والفلسفة القديمة ، عنواناً لفصل أول كتاب — لأنها كانت اسمها
 لاحد كتب « المعلم الاول » . فكل من يتصفح كتب المنطق والفلسفة القديمة
 يتأكد أن هذه الكلمة لم تتأصل في اللغة العربية بل انها غلبت على أمرها
 أما كلمة « المقولات » فإنه يجدها مذكورة في بعض الكتب ذكرها مقروناً
 بترجمتها ولا يجد لها ذكرًا في كتب أخرى . في حين أنه يجد كلمة المقولات
 مستعملة في كل منها عشرات المرات .

فهل يجوز لنا أن نستخرج « قواعد التعريب » من مثل هذه الكلمات
 التي لم تتمكن من التأصل في اللغة ومن التجنس بها ؟

أما كلمة « أناليطيقا » فإنها لم تنل حظاً من الحياة حتى بقدر ما نالته كلمة
 « قاطيفورياس » : فقد ذكرت في الكتب لأنها كانت عنواناً لكتابين من
 كتب المنطق لارسطوطاليس ولكنها ترجمت الى العربية بكلمة (تحليل القياس)
 و (فصل البرهان) فهل يجوز لنا والحالة هذه أن نعتبرها مثالا للكلمات العربية
 ونحاول أن نستخرج منها قواعد التعريب . ؟

وإذا تصفحنا الكتب القديمة رأينا فيها ذكرًا لكثير من الكلمات
 اليونانية كعناوين لكتب مختلفة . من ذلك كلمة « ديالكتيقي » أي جدل
 و « ريطوريقى » أي خطابي و « بوطيقا » أي شعر . فهل يمكننا أن ندعى بأن
 نسبة كلمة أناليطيقا الى اللغة العربية أكثر من نسبة هذه الكلمات اليها ؟

حتى أن كتاب أخبار الحكماء يذكر كتابا لارسطوطاليس « بروبايماطا
 قاطندي أباطريقا » وهل سنقول بناء على ذلك أن هذه الكلمات دخلت في
 اللغة العربية ؟

من المعلوم أن أسلافنا استعملوا مدة من الزمن كلمة « ارثماطيقى » حتى
 أننا نظن أنهم استعملوا كلمة « جومطريا » أيضاً لأن إقليدس كان معروفاً بينهم
 بـ « صاحب الجومطريا » . فهل يجوز لنا أن ندعى أن هاتين الكلمتين أصبحتا
 من مفردات اللغة العربية ؟ وهل يسوغ لنا أن ننسى أنهما ماتتا ، وأن الأولى

تركنا محلها لكلمة عربية بمحنة (الحساب) وأن الثانية تركت محلها لكلمة
معرفة شبيهة بالكلمات العربية (الهندسة) .

اننا نعتقد أن الذكر المجرد ، أو الاستعمال الموقت لا يكفيان لاعتبار الكلمات
من المعربات ونقول باننا اذا أردنا أن نكتشف القواعد التي جرى عليها
العرب في التعريب ، وجب علينا أن نعتبر الكلمات التي عاشت وتواصلت
لا الكلمات التي ظلت جامدة ثم ماتت .

لذلك نرى أن كلمة « الفلسفة » الحية والولود تدلنا على مجاري قواعد
التعريب أكثر من كلمة « أناليطيقا » العقيمة والميتة .

فإن الأولى تغلبت على كلمة « الحكمة » التي كانت تعتبر مرادفة لها فعاثت
منذ قرون وولدت نسلا من الكلمات « مثل فلسفي فلسفيا فليسوف تفلسف
متفلسف » خد بعض الجموع مثل « الفلاسفة المتفلسفين » أما الثانية فاتها
لم تتمكن من التغلب على كلمة « التحليل » فماتت بعد ولادتها بزمن قصير من غير أن
تولد كلمة جديدة أو تترك أتراحيا .

فكيف يسوغ لنا أن نعتبر الأولى شاذة ونروح نطلب القاعدة من الثانية؟
هذا وكلمة « الفلسفة » ليست فريدة في بابها فاننا نذكر عدة كلمات معربة مثلها
على وزن « سفسطة هرطقة هندسة صيدلة سفتجة باشفة » ..

من المعلوم أن المتقدمين قالوا في بادئ الامر « سوفسطيقا » فاننا نجد هذه
الكلمة مذكورة في كتب عديدة بهذا الشكل ولكن بعد ذلك صوروها وجعلوها
(سفسطة).

ويمكننا القول إن الكلمة لم تتغلب على كلتي « المغالطة » و « التمويه » إلا بعد
هذا التطور ، بل بفضل هذا التطور . فانها دخلت بهذه الصورة في قالب سهل التلفظ
وقابل للتصريف والتوليد فصرنا نقول سفسطات سفسطي سفسطائي سوفسطائية .
كما أنه أصبح في وسعنا أن نقول : تسفسط متسفسط

ويجب أن لا يفوتنا أن اسم الشيوعية الروسية أيضا تعرب على الطريقة
نفسها . فلم يقل « بولشفيقا » ولا « بولشفرما » ولا « بولشفييا » بل قيل « بلشفية »

وصرنا نقول « بلشفي ، بلاشفة ، تلشف ، متبلشف » ورأينا ان الكلمة على هذا الشكل شاعت شيوعا كبيرا بين الناس

فاذا ما عر بنا اليوم كلمة « فيسيولوجيا » بقولنا « فلسجة » على وزن سفسطة وفلسفة وبلشفة — أنكون قد خالفنا أساليب التعريب ؟ أم نكون على عكس ذلك قد جرينا على تلك الأساليب ؟

تدعون باننا نريد « أن نجري بطبيعة الحال على هذه القاعدة » في أسماء جميع العلوم وسنقول مثلاً في التشریح « أنتمة » وفي النبات « بتننه » ...

فاسمحوا لي أن أقول بانني لم أرمسوغا لهذا الادعاء والاستدلال. هل يحق لي أن ادعى أن حضرتكم ستقولون في التشریح « آتومييا » وفي النبات « بوطانيا » أو « بوطانيقا » لانكم قلتم « فيسيولوجيا » ؟

انني عربت كلمة « مرفولوجي » على شكل « مر فجة » وتمنيت تعريب كلمة « سيكاوجي » على شكل « سكايجة » ووجدت سهولة عظي في القول « فساجيا . مرفجيا سكايجا » و« الفروق الفساجية المرفجية السكايجية » ولكنني لم افكر لحظة واحدة في البحث عن أسماء تقوم مقام « التشریح والنبات والحيوان » لان هذه الكلمات دارجة وسهلة وقصيرة وهي وافية بالمرام

* * *

انتقل الآن الى بقية الاصطلاحات وابدئ رأيي في كل منها على حدة.
١ — Objectif, Subjectif لقد اعترضتم على الاصطلاحات التي اتخذناها لهاتين الكلمتين . وأصررتم على وجوب ترجمة Objectif بكلمة « موضوعي » وترجمة Subjectif بكلمة ذاتي .

انني لعاجز عن فهم الاسباب التي دعت بعض الكتاب الى استعمال كلمة « موضوعي » في هذا المقام . لان كلمة « موضوع » من الكلمات الشائعة شيوعا كبيرا وهي تستعمل دواما لمعان لا تلتئم والمعنى المقصود من كلمة Object بوجه من الوجوه . فهي تستعمل في المنطق — منذ القديم — للدلالة على أحد جزئي القضايا وهو المحكوم عليه . أما الكلمة التي تقابلها في اللغات الاوربية فهي Subject وليست Object

كما انها تستعمل في لغة العلم والادب بمعنى مدار البحث والدرس، فكلنا نقول ونكتب «موضوع الرواية»، «موضوع البحث»، «موضوع الانشاء»، «موضوع القراءة...» ونقصد بكلمة «موضوع» في مثل هذه العبارات ما يعبر عنه الفرنسيين بكلمة

Object لا Subject

فكيف يجوز لنا والحالة هذه أن نأخذ هذه الكلمة ونحاول استعمالها في معنى مضاد لهذا المعنى الدارج بمجرد اضافة ياء النسبة الى آخرها ؟
لما شرعت في قراءة الكلمة التي كتبتوها في انتقاد محاضرة الدكتور طه حسين (المصور الصحيفة ٦٥١) عثرت في خلال السطور السبعة الاولى منها على ثلاث عبارات تحتوى على كلمة الموضوع :

« المحاضرات التي ألقاها طه حسين في الموضوع الذي يحدده عنوان المقال — منقولة عن أحد المستشرقين الذين لم يدرسوا الموضوع درساً وافياً — ذكرني الكتاب ببحثين في الموضوع » فإذا ما حاولتم ترجمة هذه العبارات الى الفرنسية ألا تضطرون الى ترجمة كلمة «الموضوع» : Subject في جميعها ؟

قلت في احدى العبارات المذكورة «الذين لم يدرسوا الموضوع درساً وافياً» : فلنفرض انكم وددتم أن تفهموا القاريء ان الموضوع كان يجب أن يدرس Objectivement فهل كنتم تقولون «الذين لم يدرسوا الموضوع درساً موضوعياً ؟»
واذا قلتم ذلك أفلا تظنون أن استعمال الكلمة الواحدة على هذا الوجه — في عبارة واحدة بمعنيين يختلف أحدهما عن الآخر اختلافاً كلياً — يشوش الازهان كثيراً ؟ ثم افرضوا أن احد معلمى الانشاء قال «فلان وسع الموضوع مرضوعياً»
فهل ترتاحون لمثل هذه الاقوال ؟

اننى اعتقد أن محاولة التعبير عن مدلول كلمة Objectif بكلمة «الموضوعى» مما يغمر المدلول بغموض مستمر يحول دون دخول هذا المفهوم الى الادمغة بوضوح كلوى ويعوق انتشاره بين المستنيرين انتشاراً مرضياً.

ومما هو جدير بالانتفات أن كلمة Object تدل من حيث الاشتقاق على معنى «موضوع امام» فى حين أن كلمة Subject تدل على معنى «موضوع تحت»

يفهم من ذلك أن الفرق بين الكلمتين ليس في مفهوم «الموضوعية» إذ أن كلاتهما تشتركان في هذا المفهوم . فعليه لا يجوز لنا أن نحاول التمييز بين هاتين الكلمتين — في المعاني التي نحن بصدددها — بتسمية أحدهما «الموضوعي». إنما نحن في حاجة ماسة الى كلمة غير هذه الكلمة .

بماذا نعبر عادة عن المدلول الأصلي لكلمة Object ؟ انني لم أجد بين الكلمات العربية ما يردأ أكثر ملاءمة لهذا المدلول من كلمة شبح لان Object في الأصل هو ما يعرض على الانظار ويؤثر على الحواس »

هذا هو الشبح . فقد قال الزمخشري « أسماء الاشباح هي التي ادركتها الرؤية والحس » .

وعندما يقول العلماء «درس الحالة النفسية بأسلوب Objectif » ألا يريدون بذلك «درس تلك الحالة كأنها شبح من الاشباح المحيطة بنا؟ فنحن قد اخترنا كلمة «شبحاني» بسائق الحاجة اني ايراد هذه العبارات التي لا بد للباحث من أن يستعمل نظيراتها عند ما يحاول شرح المعنى المقصود من كلمة Objectif في هذه المواطن انني لا أقول بتعذر ايجاد كلمة أكثر موافقة منها للتعبير عن هذا المعنى — ولكنني اعارض في استعمال كلمة «الموضوعي» في هذا المقام كل المعارضة وأدعو الكتاب الذين اعتادوا استعمالها بهذا المعنى الى اعادة النظر في الامر والتأمل فيه .

أما استعمال كلمة «ذاتي» «ا» Subjectif «فانني لا أعارضه معارضة شديدة الا انني لاحظت على الكلمة شيوع استعمالها في الفلسفة والمنطق ازاء كلمة «العرضي» لقد استعملت كلمة «شخصاني» باعتبار أن ال Subjectif هو ما يعود الى الشخص المفكر المنفعل « وان مدلوله ذات علاقة بشخصنا وبشخصيتنا وكنت فكرت في استعمال كلمة «باطني» غير انني عدت عنها لكثرة شيوعها ازاء «الظاهري» هذا ويستعمل بعض المفكرين والكتاب كلمتي «أنفسي» و«آفتق» او سوبجكتيف و اوبجكتيف « جريا على ما درج عليه المتصوفة في تعبيرهم الذي استخرجوه من الآية القرآنية «وسنريهم ما في أنفسهم والآفتق»

وفي اعتقادي أن هذه المصطلحات تحتاج الى تمحيص بتمام العناية

٢ — Causaité الفيتكم تعترضون على « العملية » وتقرحون استبدالها « السببية » بينما نحن لم نختار كلمة العملية إلا لأننا وجدناها أكثر شيوعاً من غيرها فكتب الفلاسفة القديمة تبحث دائماً عن « العلة والمعلول والعلة والتعليل » كما أننا رأينا الكتب المصرية الحديثة أيضاً قد اقتفت أثر تلك الكتب. فهذا الكلمة نفسها مستعملة بالمعنى عينه في أصول الفلاسفة (لأمين واحف) وفي (علم المنطق الحديث) لمحمد حسنين عبد الرزاق. فلم نر مبرراً لمخالفة هذا الاستعمال .
أما كلمة « فيناليقي » فيمكن ترجمتها « غائية »

٣ — Determinisme لقد اعترضتم على « المعينية » ورأيتم استعمال « التقصدية » مكانها. فاسمحوا لي أن أقول أن المعنى المراد بـ « الدترمينيزم » هو عكس « التقصدي » تماماً. لأن التقصد مظهر من مظاهرها الاختيار في حين أن « الدترمينيزم » هو إنكار لتأثير الاختيار في الحوادث

وأظنكم توهمتم في هذا الصدد من كلمة Determination التي تدل حقاً على « التقصد » ولكن « دترميناسيون » شيء و« دترمينيزم » شيء آخر اذ يعني بالدترمينيزم أن الحوادث تتعين وتتحدد بالظروف التي تحيط بها والدوال التي تسببها. فما علاقة هذا المعنى بالتقصد والتقصدي ؟

٤ — Evolutional وجدتمكم تعترضون على ترجمتها « التطوري » وتردونها أن يقال بدلاً منها « نشوئي »

لقد ترجمت Evolution الى العربية — في الكتب المصرية — تارة بكلمة « التطور » وطوراً بكلمة « النشوء والارتقاء »

وانما نرجح استعمال كلمة « التطور » في هذا المقام. أما كلمة « النشوء » فنجدناها أكثر الطباقة على معنى Development لأن كلمة Evolution تعني « الانتقال من طور الى طور انتقالاً تدريجياً ومستمرّاً » سواء أكان الطور الجديد أرقى من المتقدم أم أحط منه. فلكلمة التطور تدل على هذا المعنى دلالة أدق مما تدل عليه كلمة « النشوء »

٥ — Génétique انى أوافقكم على ترجمتها بكلمة « التكوين »

٦ — Behaviour تقترحون استعمال كلمة « السلوك » ولكن التقصد من هذه

الكلمة هو غير الـ conduct ان مدلول كلمة «السلوك» مصبوغ بصبغة أخلاقية. فنرى من اللازم أن نحفظ لهاتلك الصبغة . أما المعنى المقصود من كلمة Be avior فى علم النفس فهو مجرد من مثل هذه الاعتبارات. بل انه مجرد حتى من جميع الاعتبارات الشمورية فقد درس «بافلوف» مثلاً بعض الحالات النفسية عند الكلاب بملاحظة ما يطرأ على افرازاتها اللعابية من تزايد وتناقص . فهل يمكننا أن نقول « سلوك الكلاب» عند ما نبجث عن هذه الافرازات؟

اعترف أن كلمة «انتهاج» أيضاً لا تدل على المعنى المقصود دلالة وافية إلا أنها لم تكن من الكلمات الدارجة فلا يصعب علينا تخصيصها لهذا المعنى الجديد. ومما يستلفت الانظار فى هذا الباب أن علماء فرنسا عند ما اقتبسوا هذه الفكرة من الأمريكان لم يعبروا عنها بكلمة Conduite بل أوجدوا لها كلمة جديدة نوعاً ما وصاروا يقولون Comportment

٧ — Normal لقد اعترضتم على «سوى وغير سوى» وقلتم باستعمال «قيامى وغير قيامى» لهذا المعنى. غير اننى اظن أن هاتين الكلمتين ثلاثان Regular و Irregular أكثر من «نورمال» و «انورمال» إذ انهما مستعملتان فى الصرف بهذا المعنى .

وأرى كلمة «سوى» أكثر دلالة على الـ Normal لغة واصطلاحاً. إذ الكلمة مأخوذة من Norma اللاتينية التى تدل على آلة الزاوية المستعملة لرسم الخطوط العمودية (حيث تكون الزوايا التى تحدث فى طرفيها متساوية) . ولذلك تستعمل الكلمة فى الهندسة بمعنى «العمودى» أما فى علم النفس فاتها تستعمل للدلالة على الحالة المرضية والآنية. وقد جاء فى المعاجم العربية «غلام سوى أى. مستوى الخلق لاداء به ولا عيب — ورزقك الله ولداً سوياً لاداء به ولا عيب»

ألا ترون أن كلمة «سوى» هنا تطابق المعنى الذى نفهمه من كلمة «نورمال» فى مثل هذه الموضوعات كل المطابقة؟

هذا ويمكننا أن نقول «فوق اليسوى» Surnormal «وبحت السوى» Subnormal. و«لأسوى» أو «غير سوى» Anormal.

إن هذا الاصطلاح من الاصلاحات التي اعتقد بإمكان نشرها بارتياح كل
بغداد — ٣١ مارس ١٩٢٨
ساطع الحصري

العصور — نشكر للاستاذ عنايته ونكبر فيه اهتمامه بموضوع التعريب
والترجمة لأننا نعتقد بحق أن هذا العصر هو عصر النقل . ولا شبهة مطلقاً في أن
النقل هو الأساس الذي لا نستطيع بغيره أن نكون ثقافة عليا بالمعنى الصحيح .
على أنني بعد هذا أصرح الاستاذ بأنني لأوافق على كثير مما أتى به في رده
الذي أثبتناه هنا بنصه غير منقوص حرفاً واحداً . ولهذا نضطر الى الاطنباب في
الرد اطنابه في النقد تحقيقاً لا تتعرض فيه الا لرد الحاجة بالحجة لارد «الحجة بالسلطة»
التي نبغضها ونعتقد أنها من أفسد المفاسد التي لجأ اليها العقل ليتمرر حقائق
العالم وانالفة .

أولاً — استعمال أساليب باتة في ترجمة المصطلحات .

لأنكراً أنني استعملت شيئاً من الاسلوب البات في نقد ماذهب اليه الاستاذ
في مقاله الذي يدور من حوله هذا البحث . والسبب الذي أجتأى الى هذا هو
اعتقادي بأن الاصطلاح الذي جرى على الألسنة والاقلام وقبله أكثر الكتاب
او المترجمين أصبح له مبرراً كبيراً لأن يحوز بعض السلطة المستمدة من شبه اجماع
يتفق عليه الكتاب من طريق لاشعوري . ولا جرم أن هذا يبرز لنا الدفاع عنه لاسيما اذا
كنا من الذين جروا عليه وقبلوه ليكون اصطلاحاً دائماً أو فلسفياً أو ما إلى ذلك . أما إذا
اعتبرنا أن كل اصطلاح قابل للتغيير حتى ولو قبله أكثرية الكتاب والمترجمين
وقعنا في فوضى لانهاية لها . هذا ولا ريب في أن قبول أكثرية الكتاب للجرى
على اصطلاح واستعماله في كتب التدريس وحتى كتب الابحاث العامة هو المسبب
الوحيد الذي يمكن أن يقاس به مقدار ما في ذلك الاصطلاح من حيوية واتفاق
لا مع قواعد التعريب وحدها ، ولكن مع الذوق والحاجة التي تتطلبها اللغة
نفسها . وهذا هو السبب الوحيد الذي حدى بي الى الجري على أسلوب بات في ردي
الذي تناولت به مقال مجلة التربية والتعليم .

ثانياً — كلمة فلسفة

لم نخالفكم مطلقاً في أن تزنوا « فيسولوجيا » على كلمة فلسفة « الولود » كما تقولون . أما الذي اعترضنا عليه في الحقيقة هو صعوبة الجرى على مفرد نتعنته من هذه الكلمة . ولا يخفى عليكم أن العرب عندما استعملوا كلمة سفسطة قالوا في مفرد لها سفسطائي ولم يقولوا سفسطي وقالوا في هرطقة هرطوق وفي هندسة مهندس وفي صيدلة صيدلاني ، ولم ينسبوا مطلقاً إلى سفتجة ولا عرفوا بالطبيعة كلمة بلشفة . فعلى أي من هذه الأوزان نجري في مفرد فلسجة ؟ هل نقول فلسجائي كما قالوا في سفسطة أم فلسوج كما قالوا في هرطقة أو مفسلج كما قالوا في هندسة أم فلسجاني كما قالوا في صيدلة ؟ هذا هو وجه اعتراضنا في الجرى على هذا الاصطلاح التعريبي . فليس يكفي في نظرنا أن نعثر على اصطلاح معرب لاسم العلم وحده ثم لانهثر على مشتقات منه تؤدي بقية الحاجات ، أي على مفردة وجمعه ، بحيث تكون مقبولة من جهة الذوق اللغوي ، ومراعاته عندي من أكبر الأسباب التي تؤدي إلى بقاء الاصطلاحات وحياتها .

ولقد نسي الأستاذ الفاضل لدى كلامه في كلمة « فلسجة » أننا إنما نتكلم في « التعريب » لافي « الترجمة » ولو أنه استعمل اصطلاح « علم وظائف الأعضاء » مثلاً بدلاً من فلسجة لما اعترضنا عليه في شيء .

قال بأن أسلافنا استعملوا كلمة « قاطيغورياس » ولكنهم ماتت واستعملوا من بعدها ترجمة أخرى جروا فيها على كلمة « مقولات » . والفرق واضح بين التعريب والترجمة . ولكن المهم هنا هو أنهم قبل أن يعثروا على ترجمة صحيحة توافق حاجات اللغة معنى ومبنى لجؤوا إلى التعريب . وهذا كل ما قصدنا في كلمتنا التي قدنا بها الأستاذ . فإذا استطاع الأستاذ مثلاً أن يأتي بترجمة مقبولة معنى ومبنى لكلمة « فلسجة » فنحن أول من يقبلها ، فليشمر عن ساعده ونحن أول المؤيدين .

ولست أرى رأيكم في الجرى على التعريب حيناً والترجمة حيناً آخر . لانا إذا استطعنا هذا في بضعة أسماء سميت بها العلوم فماذا نفعل بقية أسماء الاعلام مع كثيرها التي لا آخر لها ؟ لهذا أرى أن التعريب أصح من الترجمة الصرفة .

وهذا ما جرت عليه أكثر اللغات . فإليك بضعة الفاظ عبرية نقلت الى العربية والانجليزية كما هي . فكلمة « بهيموث » وكلمة « ريم » وقد وردتا في التوراة نقلتا الى الانجليزية فكانتا Behemoth و Reem ، والى العربية فكانتا بهيمة وريم ، كما هي في الاصل . وكذلك كلمة « لويathan » نقلت الى الانجليزية فكانت Leviathan وهكذا . وهذا أسلم طريق لأنه لا يؤدي الى فوضى تنتج عن الخلط بين التعريب والترجمة . اللهم الا في الاسماء التي ذاعت شهرتها الى حد بعيد وكثر استعمالها حتى شاع بين المعلمين والمتعلمين . وكل هذا محافظة على الانتفاع بالكتب الاجنبية التي جرى مؤلفوها على لغة دولية اصطلاحية في استعمال أسماء الاعلام .

ثالثاً — Objective , Subjective : موضوعي وذاتي .

يقول الاستاذ بأنه عاجز عن فهم الاسباب التي دعت بعض الكتاب الى استعمال كلمة « موضوعي » ، وانها تستعمل دوماً لمعانٍ لا تلتئم والمعنى المقصود من كلمة Object بوجه من الوجوه ، وانها تستعمل في المنطق منذ القديم للدلالة على أحد جزئي القضايا وهو المحكوم عليه والكلمة التي تقابلها في اللغات الاوروبية فهي Subject وليست Object .

ومضى الاستاذ في كل كلامه حول هذين الاصطلاحين معتقداً أولاً : أن ترجمة ذاتي وموضوعي غير صحيحة . وأن الكتاب يضعون كلمة Subject محل Object سهواً أو خطأ . وما خطؤه هو في الحقيقة الآت من طريق اعتقاده هذا .

لم يلتفت الاستاذ مطلقاً الى أن الكلمة الواحدة في اللغات الاوروبية على الاخص قد اصبحت تستعمل لتدل على عدة معان مختلفة تمام الاختلاف . والامثال على ذلك كثيرة لا تحصى ، ولا حاجة بنا الى ضرب الامثال . واصطلاحاً Subject و Object لم يعدوا هذه القاعدة . فاهما في المنطق معان وفي الكلام الدارج أخرى وفي الفلسفة مدلولات تختلف عن هذه اختلافا تاما . وهما في الفلسفة وفي علم النفس يجريان على معنى واحد . فاذا قلنا Subjective — أدركنا بذلك

الذاتية التي تبحث « موضوعاً » ما Object أو تختلف عنه . ومن هذا القبيل دروس الاشياء التي تدرس لاطفال المدارس وهي تسمى عندهم Object lessons فالاشياء هي الموضوعات وطريقة النظر فيها فلسفياً أو علمياً هي وجهة النظر « الموضوعي » أي وجهة النظر التي تبحث الموضوعات المادية بما هي عليه، لا بما تدرك الذات التي تبحثها نظرياً أو تبحثها من ناحية علاقتها بها . وهذه هي وجهة النظر الذاتية . والاولى تدعى Objectivism والثانية Subjectivism . واليك الادلة التي لا تنقض . جاء في كتاب تاريخ الفلسفة ومصطلحاتها تأليف لوويس Lewes ما يأتي :

Objective method : " Philosophy "—A method of inquiry which moulds its conceptions on realities by closely following the movements of the objects. as they severally expose themselves to sense, so that the movements of thought may synchronize with movements of things.

فيلاحظ هنا مقابلة الموضوعات بالحواس ، والفكرات بالاشياء . والحواس والفكرات تمثلها الذات المدركة Subject والموضوعات والاشياء تمثلها الكائنات الخارجية Object

وجاء في كتاب « هاملتون » في الميتافيزيقا جزء أول ص ١٦٠ و ١٦١ طبع هانزل ما ياتي :

The terms Subjective and objective denote the primary distinction in Consciousness of self and not self; and this distinction involves the whole science of mind, for this science is nothing more than the determination . of the subjective and objective in themselves and in their mutual relations.

فيها يكفي الاستاذ للاقتناع بصحة ماذهب اليه ، وهو تقيض مايعتقد به تماماً ، قول هاملتون المعروف بأن الاصطلاحين وضعاً ليدل على التفريق بين النفس أو الذات واللا نفس أو اللا ذات ؟ وأن هذا التفريق يتضمن كل المعلوم العقلية لانها تقوم على قاعدة تحديد الذاتي والموضوعي في ذاتهما وفي علاقتها المتبادلة ؟

وجاء في هذا الكتاب نفسه ص ١٥٩ و ١٦٠ ما يأتي :

Objective means that which belongs to, or proceeds from the objects known, not from the subject knowing, and thus denote what is real, in opposition to what is ideal—what exists in nature in contrast to what exists merely in thought of the individual.

هل يكفي الاستاذ أن يكون الموضوعي هو « الأشياء المعروفة » لا « الذات العارفة » وان اصطلاح Objective يدل على الشيء « الحقيقي » لا على ما هو ذهني خيالي ، وأنه يدل على ما يوجد في الطبيعة مضاداً بذلك ما يوجد في فكر الانسان ؟ هل يكفي هذا دليلاً على صحة مذهبنا اليه ؟ نظن أن هذا كاف لتأييد مذهب اليه .

ثم ارجع الى كلمة Subject — فقد جاء في القاموس الانسيكلوبيدي ص ٦٥٢ مجلد ٦ ما يأتي :

Subject : (Philosophy) the ego as distinguished from the object or non-ego; the mind considered as that in which knowledge inheres.

أيكفيه أن تكون كلمة Subject تدل على « الذات » تفرقاً لها عن « الموضوع » أو اللاذات ، وانها تدل على العقل الذي يستوعب المعرفة ، لا على « الموضوع » الذي يعرفه العقل ؟

وجاء في كتاب لويس تاريخ الفلسفة طبعة (١٨٨٠) :

Subjective method (Philosophy): The method of investigation which moulds realities on its conception, endeavouring to discern the order of things, not step-by-step adjustments of the order of ideal to it, but by anticipatory rush of thought and not controlled by objects.

أظن أن هذا كاف لأن نقنع الاستاذ بصحة الترجمة التي جرينا عليها في مصر وهي نتيجة درس طويل عميق قائم على ما فهم فلاسفة أوروبا من مدلولاتها التي تواضعوا عليها .

ولا نظن بعد هذه التعاريف التي أتينا عليها والشروح التي ذكرها كبار الكتاب وأصحاب المعاجم المضطرين إلى الجري على اصطلاح ذاتي وموضوعي وذاتية وموضوعية نزولاً على حكم المعنى الأصلي الذي وضعت من أجله هذه الالفاظ

رابعاً — Causality أم السببية ؟

هناك فرق كبير بين الفلية والسببية جرى عليه المحدثون في الاستعمال الفلسفي . ولم يستعمل القدماء لفظ السببية بالمعنى الذي أدركه المحدثون . والسبب في هذا التفريق أنهم صرفوا الفلية على العلل الغائية والنهائية التي تنتهي إليها كل « الاسباب » ونحوها Final cause أو Final causes وهي العلل التي ترجع إليها جماع الاسباب التي تكون ظاهرات الطبيعة . فكلمة Causality تدل على السببيات التي هي ليست بشيء سوى أوجه الترابط الواقع بين سوابق طبيعية ولواحق متكررة متواترة في كل نواحي النظام الطبيعي ممتدة في الزمان والمكان لترجع الى علة غائية ، وجماع هذه العلل الغائية تعود الى علة نهائية تدخل في باب الغيبات الصرفة . فالجاذبية مثلاً علة غائية لانه يرجع اليها عدد من السببيات التي تعبر لنا عن كثير من الظاهرات الطبيعية . أما الجاذبية ذاتها فتعود الى علة نهائية خارجة عن الابحاث الطبيعية فكلمة causality اذن هي السببيات الجزئية أو التسبب لا العمل . جاء في القاموس الانسيكلوبيدي ص ١٠٧ مجلد ٢

Causality — The agency of a cause; the quality or property of causing

وهذه المعاني الدقيقة يجب أن نلاحظها جيداً اذا أردنا أن نتمرن على درس العلوم والفلسفة درساً قيمياً على الحقائق الاولى فيهما .

خامساً — Determinism أم القصدية ؟

قال الاستاذ رداً على إذ أردت أن أترجم هذه الكلمة « بقصدية » أن الدتيرمنزم هو عكس « القصدى » تماماً . لان « القصد » مظهر من مظاهر الاختيار في حين أن الدتيرمنزم هو انكار تأثير الاختيار في الحادثات . والحقيقة أننا لم نرم بالقصدية الى الاختيار الحر مطلقاً . بل رمينا الى القول بأن الارادة غير حرة وأنها تحول الى غايات قسراً عنها بفعل قوة قدسية تحول القوى العقلية الى نهايات وأفعال توافق « مقاصدها » وتنقضى على « مقاصدنا » . وهذا هو المعنى المدرك مما عرفت به هذه الكلمة كل التواميس وكتب الفلسفة .

أما إذا لم يوافقنا الاستاذ على هذا الاصطلاح فانه يستوى على الأقل واصطلاح « المعينية » الذى يريد أن يضعه ترجمة لهذه الكلمة بل إن « القصدية » أقرب للمعنى الاصلى من اصطلاحه .

سادساً — Evolutionary — أنطورى أم نشوئى ؟

استعملت كلمة تطور في ترجمة أصل الانواع واستعملت أيضاً كلمة نشوء ترجمة الاصطلاح Evolution- . غير أنى لم استعمل أحدهما ترجمة لكلمة Development مطلقاً لان هذه تدل على « النماء » لا على النشوء أو التطور وهو اصطلاح قديم عدل عنه النشوئيون في العهد الاخير بعد ظهور داروين أما السبب فى أنى أفضل كلمة نشوء الآن على تطور وان كنت لا أرى مانعاً من استعمالها لتحل احدهما محل الاخرى ، هو ان كلمة تطور لم تسمع من العرب ولا استعملوها ، بل استعملوا كلمة نشوء . هذا فضلاً عما فى كلمة نشوء من المعنى الدقيق الذى يدل على تولد بعض الاحياء من بعض ونشوتها فى سلسلة طويلة . ناهيك بأننا ننحت منها كلمة نشوئى Evolutionist للمفرد ونشوئيون للجمع . أما كلمة تطور فليس فيها من المطاوعة ما نجد فى كلمة نشوء .

سابعاً — Behaviour — أهى سلوك أم انبهاج ؟

اعترف الاستاذ بأن ترجمة هذه الكلمة « بانبهاج » كما جرى هو عاينها لا تؤدى المعنى تماماً . ولذا وجب عايننا أن نرجع الى تعريف الكلمة فى لغتها الاصلية . جاء فى القاموس الانسكلوبيدى ص ٤٨١ مجلد أول مايلي

Behaviour: Outward deportment; such conduct as is visible to the eye.

1— Such outward deportment as is fitted favourably to impress.

2— Gesture, posture, attitude, specially of a graceful kind.

وهذا يدل دلالة واضحة على أن هذه الكلمة تدل على « السلوك » الظاهر الذى يأتى به حى متحرك من الاحياء . وجاء فى القاموس الانسكلوبيدى ص ٤٨١ مجلد ١ مايلي :

Conduct: Including what is within the heart and unseen, not less than what is visible.

وهذا يدل على «الصفات» لاعلى الاخلاق القلبية التي يتصف بها الانسان أو الحيوان . وعلى هذا نصلح على ترجمة سلوك وأخلاق وعلم الاخلاق ، فنستعمل للاول كلمة behaviour والثانية conduct والثالثة Ethics- جريا على المعانى الاصلية التي وضعت هذه الكلمات لتدل عليها من لغاتها الاصلية .
 ثامناً — Normal, Abnormal — أسوى وغير سوى ، أم قياسى ولا قياسى
 جاء فى القاموس الانسيكلوبيدى ص ٢١٥ مجلد ٥ ما يأتى

Normal: As adjective (صفة) according to a rule, principle or standard conforming to certain standard, type or established law; regular, not abnormal.

Technically:—

Bot:— Not in any way departing from the ordinary structure peculiar to the family or genus etc. of a plant.

من هنا نرى أن كلمة Normal تدل على «القياس» ، فلسفيا وعلميا .
 وجاء فى القاموس نفسه ص ١٣ مجلد ١ ما يأتى .

Abnormal—Not according to rule, irregular; anomalous, departing from the ordinary type.

و يقول مستر ترنش فى كتابه «اللغة الانجليزية قديما وحديثا» ، أنها استعملت حديثا جداً فى اللغة الانجليزية . ومن هذه التحايد نرى أن الكلمتين تدلان على «قياس» ، الافراد والاشياء على معيار ما فتكون قياسى ولا قياسى . أما «السوى» ، فيدل على الكمال كما يقال «فتمثل لها بشراً سوياً» ، أى كاملاً وهذا يدل على الاصل الذى يقاس عليه لاعلى الشئ المقيس على أصل يتخذ قاعدة للقياس .

هذا ما رأينا فى نقد الاستاذ لعلنا نكون قد أحيينا بعض الحقيقة ، آمين
 أن يكب المشتغلون بالعلوم على مثل هذه الابحاث «والمصور» ، تفسح صدرها لكل نقد خدمة للعلم والعربية ونحن على يقين من أن النقد محك الحقيقة .

اتباعيل مظهر

الموسيقى العربية والموسيقى الغربية

توطئة — ماهى الموسيقى؟ — ابرز ناحية فى الموسيقى العربية —

فقر الموسيقى العربية — التماوت والمميزات بين الموسيقتين —

النهضة الموسيقية العربية

توطئة

ليس من ينكر تقدم الموسيقى العربية ، تقديماً محسوساً ، تلمسه من خلالها ،
ونبوغ أفراد جبروا شوطاً بها ، اذ هذبوا ، وأصلحوا ما فسد وانحط منها ؟ وابتكروا
(شيئاً) من عندياتهم واقتبسوا من الموسيقى الغربية ، ما (وجدوه) ضرورياً ، ومناسباً
لها ، حتى غدت كما هى الآن

كانت الموسيقى العربية فى العصر العباسى ، فى حالة ازدهار ، ورتقى ، حتى
بلغت شأواً من الدقة ، والسمو ، ولكن بعد أن دالت الدولة العباسية ، تمرب إليها
الانحطاط ، والضعف شيئاً فشيئاً ، حتى وصلت منذ قرن ونيف ، الى أقصى درجات
الفساد والتأخر ، الى أن قبض لها (عبيد الحمولى) الذى ارجع لها (بعضاً) من غايرتها .
(وشيئاً) من مكانتها السالفة فى عالم الموسيقى ، ومنذ ذلك الحين ، بدت طلائع عصر
جديد فى الموسيقى الشرقية ، وظهر بها نوابغ قليلون فى سوريا ، ومصر ، والمهجر ، تدرجوا
بها من الملمات الى الحياة

ماهى الموسيقى ؟

ان لفظة «موسيقى» يونانية الاصل وهى فن ، أى انها لا تقتصر على العزف
لا غير ، بل تجمع فنى الغناء ، والتلحين أيضاً
وقد اطلقت لفظة «موسيقى» على كل من انضم تحت لواء الآلات الموسيقية ،
على اختلاف أنواعها ، من عازف ، ومغن ، وملحن

أبرز ناحية فى الموسيقى العربية

ان الموسيقى العربية مشهورة برقتها ، ونوعيتها ، وجمالها ، ويقال على الأجمال انها
اشتهرت بأمر واحد بارز ، هو : «الكآبة»
فانك لترى الكآبة ظاهرة فى جميع الألحان ، والانغام ، حتى فيما كان منها منيراً

ان هذه النعمة القديمة ، قد ورثناها عن أيام العرب ، يوم كان المغنى يتغنى
متغزلاً بحبيب ، أو باكيّاً لموت قريب ، أو لفراق عزيز ، فانك ترى الكتابة
متجالية في جميع الممانى والألحان ، حتى لتكاد تتناسها ، وتشعر بتسربها الى
نفسك .

أما اليوم فيجب أن تطلق الموسيقى العربية من قيودها ، ومن محيطها
المحدود ، حيث تعددت المنازع ، والمناحي ، واختلفت العواطف ، والاهواء ،
ويجب أن تسير مع رغائب الانسان ، ومناحي حياته

فالموسيقى العربية ، مختصرة على التأوه ، والبكاء ، والنحيب والكتابة ،
والخرن ، والعواطف ، والشواعر ، فى المعنى ، والمبنى ، واللحن ، فليس الذنب هنا
على المغنى أو العازف وحدهما ، بل وعلى الشاعر أيضاً

وما يؤسف له أن تستمر الموسيقى العربية ، مقيدة بقالب ، وأوضاع ،
وأساليب قديمة ، بالية ، سخيفة ، لا يتجاوزها الموسيقيون ، أو يتكرونها سواها ،
فانك ان شئت ، أن تستروح النفس بسمع غناء ، فالويل كل الويل لك ، حيث
جنيت على نفسك ، لأنك وأنت تصنى الى المغنى ، تصرف وقتك ، وينفذ
صبرك ، لتراه ينتهى من آه آه آه باليل يا عين . . .
فاتحاً فمه ، يطمط السكامة كأنها زئبق أو مطاط ، صارخاً بأعلى صوته ، مردداً ، شاكياً ،
باكيّاً ، متأوهاً ، منادياً ، (العين) و (الليل) عشرات المرات ، حتى يطغى نور
العيون ، ويزعج عفاريت الليل ولكنك مع هذا الصبر الطويل ، لاتنفوز
ببغيتك ، ويغير لك هذه النعمة ، المترددة ، لأنه لا يرحم السامعين ، ولا يشفق
عليهم من الاغناء بصياحه المزعج المتواصل ، وترداده يائين باليل . . .
— الا بعد طويل أمن — وحتى لو كانت كل (صرخة) تخلف نغماً ، فإن
النفس لتسام كثرة ترداد الكلام ، ولو اختلف اللحن قليلاً

وأما فى العزف على آلة ما ، فلا تستطيع التلصص من الكتابة البارزة
فى اللحن

فقر الموسيقى العربية

تفتقر الموسيقى العربية الى قوة التوليد ، والتفنن ، والابتكار ، في الاساليب ، والاقام ، والاوزاع ، لكي لا يمل السامعون متى غنى مغن ، أو عزف عازف ، من الاساليب القديمة الرثة ، التي أصبح يمجها الذوق ، ويملها السمع والموسيقى العربية في أشد الافتقار ، ومسيس الحاجة الى الاقتباس من الموسيقى الغربية ، والاستفادة من نوتها ، وروائعها وقتها الكلى ، كما اقتبس الغربيون ، موسيقاهم عن العرب ، يوم كانت موسيقاهم في أبان نهضتها ، وقد انعكست الآية الآن ، وغدونا في أشد الحاجة للاقتباس ممن كثرتوا يقتبسون منا بالامس ! ... وهكذا الدهر قلب ...

لم تبلغ الموسيقى العربية ، درجة سامية ، تجعلنا نقارنها بالموسيقى الغربية ، التي بلغت الى أسنى ما بلغه الفن من أيام (باخ) و (بيتهوفن) و (موتسارت) و (هايدن) الى الآن

ويقال على الاجمال في الموسيقى العربية ، ان ليس فيها من النبوغ والعبقرية الا النزر اليسير ، وأما في الفن والصناعة ففيها الكثير ، اذ لا تصلح الموسيقى بدونهما

وأما النوابغ فقليلون ، وانهم لم يصلوا بها الى ما بلغت الموسيقى الغربية من الارتقاء ، والتفوق ، والعظمة ، وقد قال لى الموسيقى النابغة وديع صبرا مخترع البيانو الشرقى:

« وقد تبلغ الموسيقى العربية ، شأوا الموسيقى الغربية بعد خمسين سنة »
ولكنى لا أوافق مطلقاً على هذا القول ، حيث أن بلوغ الموسيقى الغربية قمة المجد ، كانت نتيجة درس ، وعراك ، واستعداد ، وابتكار اربعمئة سنة ، وظهور نوابغ كثر فيها ، جعلوها في هذا المستوى الراقى — فأين نحن من الموسيقى الغربية والنهضة الموسيقية ، ولما تزال في المهد بعد ؟ وأين النوابغ عندنا ؟ وأين أعمالهم الموسيقية الخالدة ؟ وما هي ثقافتهم الموسيقية ؟ وما يعرفون عن الموسيقى الغربية ، واختلاف انواعها ودرجاتها ، وتعدد فنونها وأصاليبها ؟ وتاريخ الموسيقى ، وتاريخ

الموسيقين ؟ وتاريخ الآلات الموسيقية ، وتطور الفن الموسيقى منذ نشأته الى الآن ؟ ماذا يعرفون ويعلمون عن الموسيقى ؟ هل تجاوزوا عدة فنون بها ؟ هل يعلمون أو يعرفون أن يعرفوا أو يغنوا ويلحنوا غير ألحان : (القصائد) ، (الادوار) ، (المواويل) ، (التواشيح) ، (البشارف) ، (الطقاطيق) ، (المنولوجات) ، (المارشات) ، (التقاسيم) ، (الرقص) ، (السماعيات) ؟ — هل هذه كل فنون الموسيقى ؟

أين (الاورا) و (الاوربريت) و (السوناتا) و (الشارناد) و (السيمفوني) و (الجاز) و (تريو) و (كوارتت) و (سكنت) و (سبت) و (ستت) و (اوكتت) و (نونت) و (كورنسترو) و (فنتازيه) و (رابسودي) و (كبرى شيو) و (فيوج) و (أوفرتيرو) وغيرها من فنون الموسيقى الراقية ، التي تعبر عن نفسية الانسان وعواطفه — في موسيقاهم ؟ فلا يجب القول اذاً أن الموسيقى العربية تبلغ شأ وشقيقتها الموسيقى الغربية بعد خمسين سنة . لان هذا القول هراء ، من الخرق التسليم به ، لانه لا يقوم على حقيقة راهنة ، وفي رأي أن الموسيقى العربية (قد) تبلغ مبلغ الموسيقى الغربية بعد مائة سنة

التفاوت والمميزات بين الموسيقىتين

تتفوق الموسيقى الغربية على الموسيقى العربية . بعدة مميزات : في الصنعة ، والفن وقوة التوليد ، والتركيب ، والدقة ، والاتقان ، والتقن ، والابتكار ، والسمو ، والخلود ، والكمال ، والنبوغ والعبقرية ، والعلامات الموسيقية (التنوط) وتعدد المرامي والمنازع وكثرة فنونها ، والحماسة

وأما الموسيقى العربية ، فتتفوق على الموسيقى الغربية : بالركة ، والجمال ، واللطافة ، والحس ، والشعور ، والعاطفة ، والحزن ، والكآبة ، والشجوى ، والطرب ، والصبابة ، والمناجاة ، وان في ديوانها ، أربعة وعشرون (٢٤) رباعاً — وديوان الموسيقى الغربية اثنا عشر (١٢) نصفاً — وان مافي العربية ، ليس في الغربية ، من الارباع ، وكثرة الاوزان ، اذ أن الثانية انصاف ، وهذا ما يعرف بداهة

فالتفاوت عظيم بين الموسيقتين ، من حيث هذه المميزات التي دون
منها ، انحطاط الموسيقى ، وتقهرها ، وموت الفن

ولكن لا أقول إن الموسيقى العربية ، خالية من الاوصاف التي تنسب بها
لموسيقى الغربية ، إنما أقول أن بها بعضاً فقط ، وهذا (البعض) ليس متقناً ؟
ومتوقفاً بقوة ، والا لبلغت الموسيقى العربية شأنًا من السمو ليس لها الآن
النهضة الموسيقية العربية

ونرى الآن بوادر نهضة طيبة — ولكنها بليئة — في فن الموسيقى العربية ،
حيث ظهر بها موسيقيون يحاولون الاقتباس من الموسيقى الغربية والجرى على
منوال نوابغها ، والاندوفى التأليف حذوهم ، وفعلوا قد أفادوا قليلاً ، وقد يفادون
كثيراً ، ومن فجر نهضتهم اعتمدوا على (النوط) — وليس على السمع كما كان
يفعل الموسيقيون قديماً — في التأليف والتلحين ، والعزف ، وادخلوا (النوط)
الى الموسيقى العربية ، حيث أصبح التخاطب الموسيقى شائعاً بها ، وراحوا يؤلفون ،
ويكتبون ، ويلحنون به ، ويعزفون بواسطته ، وقد أصبحوا الآن على صلة راهنة
بالموسيقى الغربية ، وفي العالم أجمع

وما يسر كل عربى وكل شرفى ، محاولة هؤلاء الموسيقيين ادخال نوعى (الوبرا)
و (الوبريت) الى الموسيقى العربية ، وفعلوا لحنوا بعض (وبرات) نجحوا فيها
قليلاً ، وكثيراً من (الوبريت) نالت نجاحاً أعظم ، لأنها من نوع (أوبريت
كوميك) — فى مصر وسوريا

وقد نظم شوقى بك أوبرا انطونى-وس وكليوباتره ، لحنها الموسيقى محمد
عبد الوهاب ومثلت فى مصر مرات عدة ، ونالت نجاحاً لا بأس به

ونظم الدكتور زكى أبوشادى عدة أوبرات : (احسان) (الآلهة) (اردشير)
(اخناتون) (الزباء) لم تلحن جميعها . ونظم الدكتور على الناصر أوبرا (سلوى)
لم تلحن أيضاً . ونظم الخورى مارون غصن أوبرا — أسماها (الملكان) لحنها
وديع صبرا فى بيروت ، وقد مثلت مراراً ، ونالت نجاحاً جعل الصحف تلهج

بالثناء على ناظمها وملحنها ، وعلمت من حولها ضجة عظيمة في هذه الصحف من الكتاب والنداد

وقد لحن موزيس نجار الموسيقى السورى — نزيل باريس اليوم ورئيس
جوقة الموسيقى في إحدى الجوقات الموسيقية بها — عدة أوبرات ولكنها
افرنسية وهذا الموسيقى ، يلحن ألحاناً عربية كما يلحن ألحاناً غربية
ولحن كليل شاهبير ٣٥ رواية (اوپريه كوميك) وترجم (توسكا) الى
العربية وقد وضع لها ألحاناً عربية ، ولكنه لم يجد لها أصواتاً كفاء لغنائها فلم
تمثل الآن



هذه بوادر مباركة في النهضة الموسيقية ، ترفع هذا الفن العربى ، الى الذروة
التي يستحقها ، وعسى ان ينشط الموسيقيون في القطرين المصرى والسورى ، الى
الهدم ، فالبناء والاصلاح فى الاساليب ، والاوزاع ، والالخان ، والفنون الموسيقية
الغربية ، والاقتراس من الموسيقى الغربية ؟ لتسير موسيقانا وموسيقاهم جنباً الى
جنب ، فنرجع لها بمجدها الغابر ، ونفاخرهم بموسيقانا وتنافسهم فى دولة الفن
والموسيقى .

منير الحسامى

بيروت

لماذا أُلحِدَت

قرأت باعجاب مقال الأستاذ رسل المترجم في مجلة المصور فلم أملك من قصاء عدة ليال مسهدا أفكر في الموضوع ولا أكتمكم انى كنت شديد الايمان فى الصغر فشب الشك فى قابى وأخيراً صرت ما أنا إياه الآن ملحدًا وأظن أنكم ستفسحون مجالاً لى فى مجلتكم كي أبسط للقراء مادعائى الى أن أكون كذلك وذلك اجابة بنزعة حرية الفكر .

ولدت قريباً من جهة قبر شمون من أعمال لبنان الجنوبي من والدين مارونيين (كاثوليك) فلما شببت وكنت أقصد كنيسة الناحية فى كل مرة انتابنى السأم من عظات الخورى (القس) المملة المتشابهة فبعد ما كنت فى صغرى أقصد ما يسمونه بيت الله كما يذهب صغار المدن دور السينما فى الوقت الحاضر لمشاهدة فصول القدايس يقوم بها الخورى والشماس وغيرها اختلفت وجهة نظرى فاخذت أذهب لا تطلع الى وجوه غيد القرى وهن يتهادين بأثوابهن الجميلة قاصدات مكان الصلاة . واشد مدهشت عند ما علمت من غيرى من الشبان أن داعى ذهابهم الى هناك لا يختلف عن داعى ذهابى ، وليس هذا فقط بل علمت أن الاوانس أيضاً يتأتقن خصيصاً ويذهبن مدفوعات بأيدى أمهاتهن بأمل وقوع أحد الشبان فى شبا كهن وكنت أجد لذة فى تصفح الحدود النضرة والعيون الذابلة وهى تحددجنى بلحاضها الخفية حين كان يكسو الخجل الرجوه . وتلفت بمنة ويسارا فلم أجد الورع كلسيا الا أوجه بعض المعجائز الذين يشعرون بدنو أجلمهم ويرثمدون فرقا من نار الجحيم ، فلاجل هذا يبذلون جهداً غير يسير لا تباع طريق الجنة حسب ما ترسمه لهم الاديان . وكما واجهوا الشك رجعوا عنه الى الايمان خوفاً من أن تشوى النار جلودهم بعد يوم الدينونة . وهم دائماً يتعاملون قائمين ان السخافات المطالب منهم القيام بها لهذا فعان سامية لا تدبر كها افهامهم . وفكرت فى موضوع جهنم فلم أملك من أن اسأل نفسى إذا كان الانسان لا يصل الى الشور بحقيقة الله فلماذا يعذب ؟ الان تفكيره غير راق وهذا ليس بذنبه بل ذنب الذى وهبه قوة التفكير ؟ وإذا قصد على فرض أن لا يؤمن بالواقع فلم يفعل ذلك ؟

ليس لوجود خال في عقله لم يكن هو السبب فيه ؟ أما اذا كان كتب عليه الكفر فاذن
 ليس له دخل في الموضوع فهو مسير لا مخير . اننتقل الى فكرة عذاب الجحيم فنسأل
 لماذا يميل الله الى القاء الناس في نيران الجحيم كما كانت تفعل محاكم التفتيش ؟
 وهل يجد لذة من التطالع الى الاجسام وهي تتلوى من الألم ؟ ما الفرق اذن بينه وبين
 ملوك الزنوج المتوحشين عند ما يحرقون المغضوب عليهم وهم لعذابهم ينظرون ؟ أم
 هل يسره أن يسمع الانات والاهات المرسله من أفواه أولئك المساكين ؟ أذن
 يكون عديم العاطفة صلب القلب على حد تعبيرنا . أم يريد التشفى والانتقام من
 كتب بيده عليهم هذا العذاب في حين كان في قدرته اهدائهم سواء السبيل ؟ وهنا
 أسأل ، هل يعقل ما يقال من أن عذاب الآخرة مستديم وكيف يمكن أن يكون هكذا
 لآلاف أو ملايين من ملايين السنين في حين أن الضحية لم تجرم أكثر من عدة
 سنين هي كل حياتها الأرضية وذلك بصرف النظر عن أنها كانت مقوده ؟ ثم لم يقل
 ولا أحد ما تكون نهاية هذا العذاب هل له آخر أم لا ؟ ومتى يكون آخره ؟ وإذا كان
 لنا فكيف يمكننا تصور ما ليس له نهاية ؟ وإذا كان له آخر فما الذي يحصل لتلك
 لانفس بعد ذلك ؟ أليست فكره التقمص أرق بكثير من هذه الفكرة البلهاء ؟
 اليس قريب من القتل القول بان السير على طريق الخير يؤدي الى الحياة الراقية
 في حين أن السير في طريق الشر يؤدي الى حياة سافلة ؟ وهكذا يمكننا بالاقول
 التفكير بنظام داخلي معقول

وهل يريد الله بعقابه المخالفين لاوامره ان يردعهم ؟ فإذا كان الامر كذلك فما هي
 فائدة الردع وهم سيخلدون في العذاب أو على الاقل لا يرجعون الى حياة أخرى ليحاولوا فيها
 اتباع الصراط المستقيم ؟ وأما لو كانت هي فكرة أهرمان الى الشر عند الزرادشتيين
 المسمى الشيطان بالمغتناء ، فهل ليس « لاهور مراد » الى الخير عندهم المسمى الله بـ « مينا » سلطان
 عليه حتى يعيث بالخلائق نارا جحما رافيتهم و « رغبة » النكاية بالله ؟ وهل التسليم بهذه الفكرة
 مما يشرف فكرة الألوهية ؟ وهل اذا كان في استطاعة الله كف يد ذلك الشرير
 عن اقتياد الناس على جهنم الحمراء وليكنه لا يفعل يكون مثالا حسنا لفكرة الآله
 الرؤوف الرحيم

ولماذا لم تنزل الرسل الالافى الاواسط الهمجية كواسط افريقيا في الوقت الحاضر ولا تنزل في الاواسط المتمدنة ذوات العقول الراقية؟ بل لماذا كانوا ينزلون في الماضي ، و بين كل اثنين منهما حوالى مئات من السنين لا تتجاوز العشر ، و بين الساميين دون غيرهم في حين كان لغير الساميين آلهة من البشر تملى عليهم اراداتها رأساً من جوف الاضنام؟

لنرجع الى فكرة الصلاة فنتساءل لماذا ينخصص لها وقت معين ولا تترك للناس لاقامتها حين يشعرون بانهم في حاجة الى الابهال لله بدلا من أن يؤدونها بطريقة آلية قياما بالواجب؟ وقد يكون الفرد منهم منشغل الفكر لدرجة لا يتيسر له معها الانصراف تماماً الى الصلاة . ولماذا أيضا تتحتم الصلاة على أصول مخصوصة بحركات واقوال معينة في حين أن الابهال الخالص يكون بالتعبير الصحيح عما يخالج الانسان على حقيقته ؟

هذا قليل من كثير من الاسباب التى اظنها تبرر رفضى لتعاليم الاديان القائمة على فكرة وجود الله .

ساؤوباولو — برازيل

بندلى بيلون

جمعية

بحث العلوم الخالدة

... صاحب العصور

بحمده وبمنه تعالى اجتمع فريق من أرباب العقول الناضجة والافهام العلية تحت رئاستي أن الضعيف المذيل هذه النشرة باسمي فألفنا جمعية لبحث العلوم الخالدة وينحصر غرض هذه الجمعية في احياء العلوم التي كاد يودى بها جهل الاجيال اللاحقة و يشترط في من يطالب الانضمام اليها أن يعد رسالته عن أحد الابحاث الآتية وعلى الله الاتكل

١ - جيولوجية جبل قاف

٢ - مركز العنقاء في سلسلة النشوء والارتقاء

٣ - تشريح فسيولوجي للشجرة المحرمة

٤ - جمولة وسرعة سببين نوع مع بيان قوتها ونوع درعها وتقاسيمها الداخلية

٥ - مقارنة بين دستوري جمهورية ياجوج وماجوج ومملكة واق الواق

٦ - حق العلماء في تقرير مصير الخلق مع تبين ما أبقوه للديان ليفعله

يوم الحساب

٧ - المعرى وهل كان كفيلاً أو متكافئاً وهل سيلتمى في قاع جهنم أو في

حفرة توجد خصيصاً له في ذاك القاع

٨ - تطبيق نظرية مانوس على قصة تجنيد مائة ألف فارس بكأنهم الميوث

العوابس من سكان قرية تحوى مائتي نسمة

٩ - ارجاع الالفاظ المحرفة المذكورة بعد الى أصلها العربي مع ذكر خفف

عن مخترع كل منها :

السيارة . الطائرة الكهربية . الدبابة . البرق بلا موصل . الحماكي

لمدرعة . الدراجة . الكهرباء . المصرف . التطور . المذنبات . الفواصة .

الجازية . طرق الحديد . المحركات البخارية

١٠ — مقارنة بين نواطخ السحاب ومضارب الثمر ونسبة خلط الاسمنت المسلح في كل منهما مع ذكر قوة المقاومة في كل سنتيمتر مربع

١١ — امسكات السفهاء في تبين أطعمة الخلفاء مع مقارنته بين الفالوذج وحلاوة بلدنا

١٢ — اقناع الخناس في درس امة الذنناس وكيف كانت الغور لا انساناً ثم مسخه البارى الى ماهي عليه الآن

١٣ — شرح نظرية السقوط من أدنى الى أعلا مع ذكر مثل لذلك من عهد الرشيد ومقارنتها بنظرية الجاذبية

١٤ — مقارنة لغة الملائكة باللغة السريانية مع التكلم عن تطور كل منهما

١٥ — هل نحن أحسن أخلاقاً أم الازائل، مع ملاحظة أن ما حرم عليهم هو الفاشى عندنا في الوقت الحاضر

مما سبق تجدون أننا لم نترك علماً من العلوم الى ممسناه ولا مانع لدينا مطلقاً من أن يكتب المرشحون ذواتهم عن مواضيع مماثلة

ط . ه . حنين

رئيس جمعية بحث العلوم الخالدة

، مصر القاهرة المحمية

اختزال الكتاب

باللغة العربية

جادل أكثر من واحد أن ينشئ طريقة لاختزال الكتاب العربية ولكن يلاحظ أن هم الكل انحصروا في نقل الطرق الأجنبية بتغيير طفيف غير جوهري إلى اللغة العربية؛ ولما أفلح البعض في متابعة الخطباء بسرعة متفاوتة بين الثمانين والمائة والمشرين كلمة في الدقيقة ظنوا أنهم توصلوا لأول درجة من درجات النجاح ولكن الواقف على حقيقة الحال يلاحظ أن هذا النجاح ليس إلا جزئياً لا أمل في ازادته زيادة كبيرة في المستقبل

كلنا يلاحظ أن هناك مراحل يجب قطعها في التمرن على اختزال الكتابة

هي كالترتيب الآتي

(١) استبدال الأحرف بإشارات

(٢) جمع اشارتين في إشارة واحدة

(٣) استبدال المقاطع بإشارات

(٤) الرمز على الكلمات الكثيرة الاستعمال بإشارات

(٥) الرمز للاصطلاحات المركبة بإشارات

فيجب علينا الآن بحث هذه النقط واحدة فواحدة لنرى إذا كان في الامكان

اتباعها في اللغة العربية

(١) لا شك أن الكتابة العربية إذا محونا منها النقط تصبح في حد ذاتها نوعاً

من الاختزال وما عليك إلا المقارنة بين حرف ب و d و (p) و h لتجد أن الأحرف

العربية أسهل في الكتابة جداً وهي على حالها من الكتابة الأجنبية فإذا أزيلت

النقط، والطريق إلى ذلك سهل للغاية، زادت سرعة الكاتب. لذلك نجح أصحاب

الطرق العربية بعض النجاح. ومن المعلوم أن الكاتب المسرع يتيسر له متابعة

الخطيب باللغة الانكليزية مثلاً بسرعة متفاوتة بين ٤٠ و ٦٠ كلمة في الدقيقة إذا

استعمل الأحرف العادية. وأما في اللغة العربية فقد تصل السرعة إلى ما بين ٦٠ و ٨٠

كلمة في الدقيقة. وهنا أقترح وجوب الكتابة المختزلة من اليسار إلى اليمين لأنني

لاحظت انها أسرع من الكتابة بالعكس

(٢) وكذلك قل عن طريقة جمع الاشارتين المتشابهتين في اشارة واحدة فلو كانت اشارة (م) هكذا - واشارة ن- لا يمكن جمع اشارة الحرفين من في اشارة - (٣) أما المقاطع فتكاد تكون معتودة تماما في اللغة العربية أما الانكليزية مثلا فان المقاطع الآتية

Intro uit inst en inf at com cul con تلك اللغة كما وان

ed tion by live ing وغيرها كثيرة الاستعمال في أواخر الكلمات فمن الـهل استبدالها أما في لغتنا فمع افتراض أن هناك زوائد فهي لا تزيد عن حرف أو حرفين أما في الاول مثل (ان) أو في الآخر مثل (ون) وهذه قليلة لان أغلب الاضافات على أصل احرف الكلمة فتوجد مبعثرة هنا وهناك فمثلا لناخذ كلمة كتب فنجدها انه يسمح أن يضاف الى أولها

ا . ن . ي . ت ، س أ . س ن . س ت . س ي . ا ز ، اس ت ا ل ح

وأما آخرها فاما يكون ت ثا ثم ن تن بن ان ون ا تا و ا ن نا ها ها هم هن نى ناك كما كم كن ي الى آخره فترى مما سبق أن هناك احرف اينت تضاف الى الاول ويمكن اضافة س الى كل منها فتكون

ا كتب نكتب تكتب يكتب س كتب سنكتب ستكتب سيكتب وأيضا انكتب (اندفع) ينكتب (يندفع) (سانكتب) (ساندفع) سيندفع (سينكتب) فلا يمكن وضع اشارة للالف في ا كتب مماثلة للاشارة الدالة على (ان) في ان كتب او (است) في استكتب فيجب لاجل تبين ما اذا كانت الاشارة تدل على أى واحدة من الالفات ان تأخذ شكلا مخصوصا بلاقل وبمعنى آخر ان تكون لدينا أكثر من اشارة واحدة ويجب ان تتبان هذه الاشارات عن بعضها تبانيا ظاهرا حتى لا ينتج عنه التباس اما في الانكليزية (طريقة جريج) فيدل على i: وها حرفان بحرف (ن) و Induct بحرفي (ن) ، (د) و Introd بحرفي (ن) ، (ت) وعن tion بحرف (اش) sh

وكذلك قل عن نهاية الخطابات فهي في الانجليزية لا يخرج عن ان تكون

I have the honour to be sir your obidient servant yours truby او your
yours sincerely أو yours faithfully او obedient servant

أما نحن فمن تقبل تحياتي الاخوية الى وتفضلوا بقبول عظيم الاحترام وتنازلوا لقبول
احتراماتي وقبلات من الخالص واقبل وافر الاعظام والابلال ومعنى اليك تحية زكية
وسلام في الختام

هذه بعض الاسباب ، وهي المهمة ، التي تدفعني للمحكم ، بان لا اؤمل في
متابعة فن اختزال الكتابة باللغة العربية امثاله في اللغات وخصوصاً في اللغة
الانكليزية والسبب الاول المهم في غلاظة الاشتقاق في لغتنا وهذا ما لا يمكن
مدازكته بالاقول في الوقت الحاضر

الدكتور صروف

فقير العلم والصحافة في الشرق العربي

في دار الاوبرا الملكية اقيمت حفلة لتأبين الدكتور يعقوب صروف .
وقد قالت العصور كتبها في الفقيد دلي صفحاتها وعلى صفحات المقتطف وهي
التراث الا كبر الذي ورثه الشرق عن الفقيد وجهده الدائم طوال سني حياته .
لهذا نجتزئ بمقتطفات مما قيل في تأبين فقيد الشرق ، لا لان هذه المقتطفات
تعبر في الحقيقة تمام التعبير عن الفراغ الذي خلفه الدكتور صروف من بعده في
عالم العلم والصحافة ، ولكنها بعض مايجب له من أمة عرفته شاباً يافعاً ، وخبرته
كهالاً وشيخاً ، فحنت من ثمرات عقله وعلمه وخلفه أفضل مايجني الشعوب من
أفذاذها وعظمائها .

كلمة وزير المعارف

يا حضرات السادة . كانت الفكرة التي أوحى الى لجنة التأبين أن تسند
رئيسها الى هي أن الفقيد الكريم كان معلماً أمضى شطراً طويلاً من الحياة في
خدمة العلم والادب . وقد قبلت هذا الشرف الذي ندبني اللجنة له لنتمكن من
التأبين الحق لهذا الراحل الكريم .

لقد أخرج الفقيد رحمه الله تلاميذ عديدين ظلوا دائماً متعلقين به مستريدين
من فضله فكانت مهمته مثلاً جيلاً لاحسن الصلات بين الملم وتلميذه .
واعتقد أنني معبر عن شعور المصريين جميعاً فيما أعرب عنه من التأثير العميق
والاسف الخالص ، لان الفقيد الكريم أدى أجل الخدمات اللغة وكان أساساً متيناً
في الصحافة المصرية وبعث منذ عشرات السنين نهضة فكرية لم تكن ظروف
ذلك الحين توفق اليها

فبالاسف العميق أقدم التعزية لاسرة الفقيد وأهله ولاسرة العامة
قراء المقتطف والمتعلم ، الذين نشر عليهم كثيراً من آرائه القيمة ومباحثه الجلية

وأسأله تعالى أن يعوضنا خيراً في فقيدنا الكريم . واني أنرك تفاصيل القول عن
الفقيد الى خطباء الحلقة

كتاب جامعة بيروت الاميركية

حضرة صاحب السعادة السيد شقير باشا
ان الجامعة الاميركية في بيروت تود اليوم أن يكون لها شرف الاشتراك مع
الذين يقومون باكرام ذكرى العلامة المأسوف عليه المرحوم الدكتور صروف
واننا في هذا المقام الذي لايسعنا فيه الا أن نشعر بعظيم الخسارة التي منينا
بها بقتله يتغلب علينا الشعور العميق بالاعجاب بأعماله الجيدة ونفتبط بما أوتيته
في حياته من النجاح في تلك الاعمال العظيمة نابر الانسانية
ونحن اذا ذكرنا الدكتور صروف فلا نذكره فقط كأحد خريجي الجامعة
النابعين ، ولكن كرجل قد بمقدرته الفائقة وسمو مبادئه واستخدام مواهبه العظيمة
لخدمة وطنه وأبناء عصره

وهو كزعيم كبير بين المتكلمين باللغة العربية قد بذل جهداً عظيماً في نشر
العلوم المصرية بين أبناء تلك اللغة وفي تطبيق قواعدها على الاصطلاحات العلمية
الحديثة وقد نقل الى الشرق بروح الايمان والاعتدال كل ما يهمه من الافكار
والتحولات الغربية النافعة وبشخصيته الممتازة وذكائه النادر مع جده ونشاطه
ومقدرته العظيمة على التأليف والكتابة قد ساعد على ازدياد حسن التفاهم بين
الشعوب والاجناس المختلفة وعلى تقدم بلاده تقدماً مبنياً على أساس التمدن الوطني
واننا نتحد اليوم مع الذين عرفوا الفقيد العظيم شخصياً أو من كتاباته
المنتشرة في أنحاء المعمورة بتقديم الاكرام اللائق لذكره انما لدقوتهم لقلوبنا بما
أوتيته من النجاح الباهر في خدمة الجنس البشري خدمة مبنية على حرية الفكر
والتحقق في المعرفة والاطلاع مع سمو في الاخلاق والمبادئ الشريفة

نائب الرئيس

من كلمة الدكتور منصور فهمي

استاذ الفلسفة بالجامعة المصرية

أيها السادة : كان فلاسفة اليونان الاقدمون من الرواقيين يجعلون خلة
المثابرة في سبيل الحياة المعنوية والعلم أساسا للفضيلة . ذلك لأنها دأب وكدح
في غير لذائذ البدن ، ولأنها رياضة للإرادة على ان تسكن للمعاني دون ان تشغلها
شواغل الحياة المادية وزخرف الدنيا ومتاعها

وهذا الذي نشيد اليوم بذكركم صابرو جالد . فضحي براحة الجسم في
سبيل الاستنارة والانارة . وكم ضن على جسمه بهدأت الليل في سبيل التحصيل
والإذاعة وكم حرم نفسه لذة الرياضة والهوى والترف — وكل ذلك يسرله — وجهده
في تحويل ما وصل اليه من انوار العلم الى عقول الالوف من القراء

نسنا نرغم ان خدمة الفقيه للعلم كانت خدمة المستكشف او خدمة المخترع
او خدمة المذهب في انواع التفكير مذاهب لم يسبقه اليها العلماء بل كانت خدمة
الناشر والمذيع ، وخدمة المنقب يبحث عن حاجات بلاده وقومه فيرضى هذه
الحاجات بما ينتقل الى المتعاشين من ابناء الشرق من علم مهضوم ، وفكر واضح ،
وثقافة تمثلت في صورة عربية ، لا ياباها ذوق لغتنا ولا تنفر منها طبائعنا

أيها السادة :

كن الفقيه عالما محققا مدققا مخلصا للعلم لا ينحرف عن الطرائق العادية في
كتابات ومباحثه . ولكنه مع ذلك ظل يرعى في وجدانه حرارة الايمان بالروح
وعالمها الآخر . كان واقفا على العلوم المادية الحديثة وقوفا دقيقا لكنه لم يكن كـ بعض
العلماء الماديين يريدون من المادة تعليلا لكل شيء مبدأ ومصيراً ، بل كان رحمه
الله لا يرى تناقضا بين ما كان يتصل بنفسه من نزعات روحانية وعالم مادي .
وينم على اتساع نفسه لحاجات العلم وحاجات الايمان قوله في منظومة طريفة :

اما واجسامنا ليست سوى صور مشكلات بأشكال والوان
كهارب حركتها النفس فانتظمت في شكل مستودع للنفس جناني

حتى اذا تم في الدنيا تطورها طارت الى منزل في الكون روحاني
 والتطور احكام مقررة والنفس والجسم في الاحكام سيان
 لا بد للعلم من يوم يفوز بما يبين الحق فيه خير تبين
 من كلمة أسعد بك لطفي

رئيس نقابة الموظفين

معالي الوزير . سيداتي . سادتي :

التاريخ أبو العبر . وكل حياة تحيا وتموت ولها بداية ونهاية وكل نهاية لها
 غاية . وكل غاية لها مدى ومقبر . وهو الأثر . والأثر الصالح أصل ثابت وفرعه في
 السماء . وخير الآثار مادعه صاحبه يمينه ومن الناس من يعيش وينفى بغير آثار .
 ومنهم من يرغم أصدقاءه واخوانه أن يذكروه ويمجدوه بعد المات . وكان من هذا
 نفر الدكتور صروف

لم يكن صروف مما نال علاوة مادية بحسد عليها ولكنه نال أعلى الدرجات
 المعنوية ، فلقد كان مخلصاً في وظيفته فعاش فيها خمسين سنة أويديون . وما أطيّب
 أن يصل الانسان الى مجد ويرى ثمرة عمله بعينه وقد كان هذا شأن صروف فقد
 كان أداة عاملة بين الشرق والغرب ضرب للاخير مثلاً بان الشرق في الذكاء
 وان الشرق مبسط العلم والحضارة . ذلك هو العمل الطيب الذي قام به واحسن
 من هذا أنه عمل تحت ستار السكينة والتواضع فلم يرد أن يعلن بنفسه عن نفسه
 ولكن عمله أعلن عنه . لقد أحسن صروف الى نفسه ووطنه والى اللغة العربية
 فليتلق في جوار ربه حسن جزائه وأما أنتم يا أسرة الفتيمة الكريم فعزاء وصبراً

من كلمة الشيخ عبدالعزيز جاويش بك

مراقب التعليم الاولى بوزارة المعارف

سادتي الاكرمين :

أليس من العجيب أن يقوم أحدنا مقام التعريف برجل تعرف من قبل الى
 الدنيا العربية بسبعين مجلدا ضخماً من المقتطفات حوت من العلوم والفنون والادب

والمباحث القيمة ما أكسبه بحق مركز أستاذ المعلمين وشيخ المرابين ومفتي المستفتين في العالمين ؟

بذلك وحده تعرف الدكتور صروف الى الدنيا العربية فلم تسول له نفسه يوماً ما أن يعلن بغير ذلك له اسماً أو يتصيد له شهرة وذكرًا • ولولا ما كان من صرير اقلامه الدائم في • قصوراته • لكان مثله في بره الخفي بالعلم وجهاد الصامت في سبيل اللغة العربية مثل السيج السائب يصيب الارض الموات بلا خير يسمع فيحييها وينبت البهيج من أزواجها

كذلك نحس انه برغم ما كان له في شبابه من العبقرية والخلق والتفوق على زملائه ولذاته لم يجد العجب والزهو سبيلا الى نفسه البصيرة ولا مدخلا الى قلبه الكبير • ولذا كان طول حياته أبعد الناس عن استجبال الناس وأحرص المحصلين على طلاب الحقائق والتماس مواطن العلم الصحيح فكان طاب ثراه كلما عرضت له مسألة لا ينفك يراجع المؤلفات قديمها وحديثها باحثاً منقبا متجرباً بأوجوه الصواب • وازناً بين ما قد يكون للعلماء من الرأي فيها • ذلك كيلا يقطع برأى في أمر حتى يمتحنه من سائر جهاته امتحانا رائده النظرات المنصفة والمعرفة الصادقة

* *

سادنى : لئد كان يكون الرزء فى أستاذ العرب الدكتور يعقوب صروف مما لا يحمل عليه الصبر والفراغ الذى أحدثه اختلافه مما لا يرجى أن يملأ • ولولا انه طاب ثراه قد ترك للامة العربية فى جملة ميراثه العظيم ذلك الخلف الصالح فؤاد افندى صروف فلقد استخلعه على منبره العام بعد اذ انبته نباتاً حسناً نفحاته بأخلاقه المرضية وزوده بعلمه الواسع وابرز للناس فى صورته الطيبة فلندع الله أن يرزقه من التوفيق والنفع مارزق عمه من قبل حتى لا ينقطع عن الأمم العربية صالح عمله ولا ينطمس عن الابصار نافع أثره

* *

مرثية أحمد شوقي بك

سماؤك يا دنيا خداع سراب وأرضك عمران وشيك خراب

وما أنت إلا جيفة طال حولها
وبك ألبأ الجوع الأسود فأقبلت
قعدت من الاظمان في مقطع السرى
وجدت عليهم في الوداع بساخر
أقاموا فلم يؤنسك حاضر صحبة
تسوقين للموت البنين كقائد
رأى الحرب سلطاناً له وسلامة
ولولا غرور في لبانك لم يجد
ولا كنت للاعشى مشاهد فتنة
ولا ضل رأى الناشئ الغر في الصبا
ولا حسب الحفار للموت بعد ما
يقولون يرثي كل خل وصاحب
جزيتهمو دمعى فلما جرى المدى
كفى بذرى الاعواد منبر واعظ
دعوتك يا يعقوب من منزل البلا
اذكر الدنيا وكيف ولم يزل
حملنا اليك النار بالامس ناضرا
وما انفكت الدنيا وان قل لبثها
الا في سبيل العلم خمسون حجة
قطعت طوالى ليالها ونهارها
رأى الله ان تلقى اليك صحيفة
ولم تتخذها آلة الخقد والهو
مشينا بذورى علمها وبيانها
وعشنا بها جيلين قمت عليهما
رسائل من عفو الكلام كأنها

قيام ضباع أو قعود ذئاب
عليك بظفر لم يعف وئاب
ومروا ركاباً في غبار ركب
هن اللاحظ عن ميت الاحبة نابي
ومالوا فلم تستوحشي لغياب
يرى الجيش خلقاً هيناً كذباب
وان آذنت أجناده بتيباب
بنوك مذاق الضر شهد رضاب
والمتعد العانى بحال وئاب
ولا كر بعد الفرصة المتصابي
بنى بيديه القبر الف حساب
أجل انما اقضى حقوق صحابي
جمات عيون الشعر حسن ثوابي
ويالمستقبلها لسان صواب
ولولا المنايا ما تركت جوابي
لها اثراً شهد بفيك وصاب
وستننا كتاب الحمد تلو كتاب
لسان ثواب أو لسان عقاب
مضت بين تعليم وبين طلاب
بآمال نفس في الكمال رغب
فزهرتها عن هوشة وكذاب
ولا منتدى لغو وسوق سباب
فلم نسر الا في شعاع شهاب
معلم نشء أو إمام شباب
حواشي عيون في الطروس عذاب
١٤م — ٩ع

هي المحض لا يشقى به ابن نميعة
سهول من الفصحى وقفت بها الهوى
وما رُضعت بين الشرق والغرب مشية
فلم أر أنقى منك سمعة ناقل
ولم أخذ القول السرى معرب
وقدت على الفصحى بمخيرات غيرها
وقدماً دنت يونان منها وفارس
تبتات للعالم الشريف كأنه
وجشمت ميدان السياسة فارسا
وكنا وثمر في شغاب فلم يزل
رأى الثورة الكبرى فل يراعه
وما الشرق الا أسرة أو عشيرة

«*»

سلام على شيخ الشيوخ ورحمة
ورفاف ريحان يروح ويغتدى
وذكرى وان لم تنس عهدك ساعة
وريح السواني هل عرض على البلى
وهل صن ماء كان فيه كأنه
وبالحياة لم تدع غير سائل
وأن يد كانت وكان بناتها
ولهن على الاخلاق في ركن هيكل

*

* *

لعيش ونمضي في عذاب كلدة
ذهبتنا من الاحلام في كل مذهب
وكل أخى عيش وان طال عيشه
من العيش أوفى لذة كعذاب
فلما انتهينا فسررت بذهاب
تراب اعمار الموت وأن تراب

من كلمة الأنسة « مى »

فى مثل هذا اليوم وهذه الساعة منذ عامين الا شهراً واحداً ، جتمعنا هذا للاحتفاء بعيد المقتطف الحسينى ، وكانت هذه الدار داوية باسم صروف وفى هذا المسرح ، وكان ينتصب تمثال فاخر جادت به أريحية المهاجرين الى الديار الأبريكية من السوريين واللبنانيين . وحيال التمثال الصامت الجامد كن من مصر شخص حتى نابض تكون من ممثل صاحب العرش ، ومن جميع الهيئات الرسمية والحزب السياسية ، والنزعات الفكرية . تبعت تركيا المقدور من تاريخ تطورها فصارت لهذه الاقطار صديقة بعد أن كانت سيادة . فاذا بك يا مصر ، تتحركين تحرك الاسود ، وتتبوئين المكنة المعدة لك بين اقطار الشرق الاوسط ، وتتولين الزعامة فى رفع شأن العلم وتقدير الفضل كما أنت زعيمة فى الصيحة العنانية للحرية والاستقلال وكما أنت زعيمة فى الدعوة الشريفة الى الوحدة الوطنية والتمردية وعند ماتهمض الدكتور صروف يلقى كلمة الشكر — سامحونى ، أيها الخطباء والشعراء ! — كن أجمل من كل خطبة وكل قصيدة وكل نشيد ، ورقف ذلك الشيخ الجليل الوديع الممتلىء شباباً على طول عهده بالحياة ، الممتلىء يقظة على طول عهده بالجهاد ، الممتلىء نشاطاً علمياً وعملياً على ماأوهى العمل من خيوط قلبه وأفنى العلم من ذرات دماغه .

تكلم متأثراً ، فأدركنا فى لحظة كهو قاسى فى وحدته الفكرية ، ولم تكن ثباته عظيماً فى انزوائه العلمى . فكان حقاً أن يحين ساعة الانصاف . كان حقاً لذلك العامل العظيم فى ميدان الثقافة الشرقية أن يسمع قبل الرحيل صوت مصر والشرق متألفاً من جميع الاصوات ، منسوجاً من جميع الافكار ، متوحدراً من جميع القلوب !

« * »

ذكرت الخلود ، أيها السادة والسيدات . وهى كلمة طامانداولناخا فى الاشوام الاخيرة ، فما هو تعريف الخلود ، ومن هو الخالد ؟
أما خلود النفس بعد الموت فمُنْبَثِق من العقيدة الدينية وهو سر سحيق فى

كل ضمير حي وجاجة صميمة لا تقوم بمقامها حاجة . وقد كان هذا الموضوع شغل
الدكتور صروف الشاغل طول حياته . ولكن انلود بمعناه المدنى أو العلمانى —
ان صبح هذا الوصف — أى خلود الشخصية في هذا العالم بين بنى الانسان —
ترى ماذا نعنى به عند ما نشير اليه

أهو بقاء الاسم الخالد متكرراً على الالسنه تتجاوب به الاصدا على توالى
الاحقاب ؟ معناه أن مبادئ الشخص الخالد ، تعاليمه تظل شائعة بين أبناء الاجيال
الآتية تزكى منهم الممهم ، وتنباهم المعلومات والفوائد ، وتوحى اليهم حب النشاط
والعمل ؟ أم معناه ان بين ملايين الاسماء المنسية في هاوية الازمان ، هناك أسماء
تظل خاتمة كرايات ، مضيئة كالمناير ، هادية كالاعلام فى الصحراء ، مشجعة
كاصوات الحب والحياة

قد يكون للخلود فى هذا العالم بعض تلك الممانى أو كلها . ولكن لدى عن
الخلود فكرة اخرى استمعيحكم فى الانضاء بها اليكم

الخلال فى تقديرى هو الذى خطا بجماعته خطوة حاسمة فى الميدان الذى تفوق
فيه . الخالد هو الذى جعل وسطاً ، بفضل جهوده ، خيراً مما كان قبل ولادته . الخالد
هو الذى ثقف وأمن جانباً من الشخصية العامة ، فكان له فى تكوينها اثر
لا تمحوه الاعوام والدهور

وتلك الخطوة العلية والثقافية التى خطاها الشرق فى نصف قرن على يد
المقتطف ، هي التى نسجها الدكتور صروف فى تربيته كما سجلناها من قبل فى
تحيته . انه خالدها لانه عمل فى تكوين الشخصية العامة واهلها للتقدم فى مراحل
التاريخ والعمران

فلا تطرقى حزناً وأسى ، يا زوجة صروف أنت التى قاسمته ساعات الحياة
فى ألوانها البهيجة والقائمة وطعمومها المريرة والسائغة . بل تعالى نسرباً لخيال لزيارة
ذلك الضريح البعيد فى ظل الغصون . وبينات تعاون أيدي الرجال القوية النبيلة
على اضفر أكاميل التكميم والتقدير للفقيد الكبير ، فلنقدم له نحن ، بالنيابة

عن المرأة الشرقية ، زهرة الشكران مبالغة بدموع القلب ولنودعه بهذه الكلمة الشهيرة لفيكتور هوجو :

« أينما الشمس المتغيبية وراء الأفق ، ان أشعتك باقية الانوار »

كلمة نقابة الصحافة ألقاها الدكتور هيكل بك

رئيس تحرير السياسة

أيها السادة

في هذا المكان نفسه ومن ستة أسابيع مضت كنا نؤبن صحفياً من أعلام الصحافة اغتاله الموت وهو في ميدان الشرف يناضل نضالاً سياسياً شديداً . كنا نؤبن صديقنا وزميلنا المغفور له أمين بك الرافعي الذي سقط شهيداً في جهاده السياسي وما يزال في عنفوان القوة وفي صدر العمر . وما نحن اليوم نؤبن شهماً آخر هو المرحوم المغفور له الدكتور يعقوب صروف فنذكر اذ نؤبنه شيخاً من شيوخ الصحافة ، قضى حياته في خدمة العلم من طريقها لم يعرف الكلال ولا السأم الى نفسه سبيلاً . شيخاً كان في مثابرتة وصبره على بث الفكرة العالمية التي تحتاج الى الوقت الطويل ما كنهه أمين الرافعي في اندفاعه القوي لتحريك الجماهير

وليس منا من يذكر يعقوب صروف ومثابرتة وصبره الطويل ولا يذكر أنا في هذا المكان نفسه ومن سنتين مضتا كنا نحتفل بيوبيل المقتطف الذهبي لانقضاء خمسين سنة على جهاد الدكتور صروف العلمي والاجتماعي من طريق الصحافة ويذكر حين ذكر هذا اليوبيل كيف اشترك قراء العربية جميعاً في أنحاء العالم المختلفة فيه اشتراكاً قلبياً دل على صدق تقدير قراء العربية جميعاً لهذا المجتهد المجيد الجليل

والواقع أن حياة المغفور له الدكتور صروف تتلخص في مجلدة المقتطف . فلقد عاش هذا الرجل صحفياً بمعنى خاص غير المعنى الذي يتبادر للاذهان من كلمة الصحفي . عاش صحفياً متخصصاً لناحية معينة هي نشر العلم وتوطئته على لسان الصحافة . ولذلك يعجب كثيرون اذ يقال لهم ان الدكتور صروف لم يكن له اشتراك فعلي في تحرير جريدة المقتطف التي يظهر انتمه عليها . وانه لم يكن يوماً من

والإيام عناية الصحفيين الذين يحررون الصحف اليومية بالشئون السياسية ، ويعجب كثيرون كذلك اذ يقال لهم ان كل سطر من سطور مجلة المقتطف كان لا ينشر قبل أن يقف الدكتور صروف على كل شئون نشره فهو الذى يضعه فى المكان الذى يختاره من المجلة . وهو الذى يصححه التصحيح الاخير فاذا ظهر المقتطف كان اذن صورة نفسية للدكتور صروف أثناء الشهر الذى سبق ظهوره وكان مطبوعا بطابع الدكتور صروف العالمى الدقيق

لم يكن الدكتور صروف اذن صحفيا سياسيا ، ولم يكن بمعنى فى حياته الصحفية بشئ ، عنايته بالشئون العلمية ، فهو اذن كان صحفيا اختصاصيا ، ان صح اطلاق هذا التعبير على الصحفيين كما يطلق على الاطباء أو على المهندسين وقد تخصص لهذا حتى ملك عليه العلم منذ أول تخرجه من الكلية الاميركية ببيروت كل نفسه فرأى فيه القوة المحركة لحياة الافراد ولحياة الجماعات . ولما كان الشرق أول نشأة هذا الرجل بعيدا عن تمثل الروح الغربية تمثيلا يكون لنفس طبقات المتعلمين فيه فقد أخذ صروف نفسه بان يجعل الصحافة أداة نشر هذا العلم الذى أحبه حبا جما . والصحافة أداة قوية فى تعميم العلم وتوطئته قوتها فى نشر كل ما يختص بحياة الجماعة من أسباب التفكير والشعور

وفى سبيل نشر العلم من طريق الصحافة قضى الدكتور صروف حياته بين جدران مكتبته يطلع وينقب ويتابع تطور العلم وما يجد فيه من الآراء والمكتشفات ليجلبها على الناس فى المقتطف وهو فى هذا كان مخلصا للعلم والصحافة وهما محبوبان مستبدان يستندان من الخاص لهما كل هبانه وصحته وقوته وهو بذلك راض كل الرضا معتبطا أشد الاغتباط . وان الذين رأوا الدكتور صروف فى مكتبته آخر حياته وقد جال الشيب رأسه وعجزت ضجة العالم الخارجى عن أن تصل الى مسمعه ، والذين شهدوه وهو يقاب فى صحف كتبه بشغف وشوق يزيدان اضعافا مضاعفة على تلاميذ الكهين اجمال الصور وانظر الرىض والذين لاحظوا انكبابه يكتب للمقتطف ثم انكبابه على تجارب صحف المقتطف قبل طبعها يعيد عليها آخر نظراته لتصحيحها ، هؤلاء جميعا يقدرون مبلغ ما ملك العلم وما ملك

الصحافة على ذلك الرجل حياته ، ويتبدون مبلغ ما تحكم العلم وما ملكت الصحافة
في وجوده تحكما استبداديا محبوبا ، ويتبدون مبلغ اخلاصه للعلم والصحافة اخلاصا
لم تشبه قط شائبة

ومحبة العامل عمله واخلاصه له هما أيها السادة قوام نجاح العامل ونجاح العمل
جميعا فاذا مدت المقادير للعامل في حياته فزاده ذلك محبة لعمله واخلاصا له ثم كان
سماه متصلا بالعلم ونشره فذلك سر القدرة وسر تقدير الناس بل تقدير التاريخ
للرجل وعمله ، ولقد قضى المغفور له الدكتور صروف أكثر من خمس وخمسين
سنة في جده الصحفي لنشر العلم فاعترف العالم له في حياته بفضل هذا الجهاد العالمي
أجمل اعتراف وهو لاشك سيمترف له بعد وفاته بهذا الفضل أخلص
اعتراف وأصدق

وان أسرة الصحافة التي شرفني نقابتها بالتناء هذه الكلمة بالنيابة عنها
لتشعر لفقد المغفور له الدكتور صروف با كبر الاسى ونرجو الله له الرضوان بمقدار
اخلاصه الجمل المتواضع للعلم والصحافة

مرثية حافظ بك ابراهيم

أبكي وعين الشرق تبكي معي	على الأريب الكاتب الأمل
جرى عصي الدمع من أجله	فزاد في الجود على الطيع
نقص من الشرق ومن زهوه	فقد البراع المعجز المبدع
ليس لمصر في رجالها	حظ ولا للشام في أروع
مصاب صروف مصاب النهي	فليبيكه كل فؤاد يعي
كرم بالامس وأكفانه	تنسجها الاقدار للمصرع
يا صانع الدهر لتكريمه	صفه لمنعاه من الادمع
قد زين العلم بأخلاقه	فعاش ملء العين والمسمع
تواضع والكبر دأب الفتى	خلا من الفضل فلم ينفع
تواضع العلم له روعة	ينهار منها صلف المدعي
وحلة الفضل لها شارة	أزهى من السيفين والمدفع

يشبع من حصل من عاقبه
 مبكراً نحسبه طالباً
 قد غالت الاستقام أخلاقه
 مات وفي أنمله صارم
 صاحبه خسين عاماً فلم
 موفق أنى جرى ملهم
 لم يبره بار سوى ربه
 في النقل والتصنيف أربى على
 أى سبيل للهدى لم يرد
 ينتصف الزهر ويختاره
 فتعجب القراء في جنة
 صروف لا تبعد قلت الذى
 أسكتك الموت ولكنك
 ذكراك لا تنفك موصولة
 وهو من النحصيل لم يشبع
 يسابق الفجر الى المطلع
 وأرأس في شغل عن الاضلع
 لم ينب في الضرب عن المقطع
 بمن له عهداً ولم يخدع
 ماخل في الورد عن المشرع
 ولم يحزه جاهل أو دعى
 مدى ابن بحر ومدى الاصمعي
 وأى باب منه لم يقرع
 كأنه حل لا يعفو عن الأنيع
 عتولهم في روضها ترتعى
 يطويه طوى ذلك المضجع
 لم يكت الآثار في المجمع
 في معهد العلم وفي المصنع

شكر أسرة الفقيد

بلسان صاحب السمادة السر سعيد باشا شخير
 « ما أكرم هذا الشعب وأطيب تنصيره وما أشرف خدمة هذا البلد وأثرها »
 هذه هي الكلمات التي فاه بها المرحوم الدكتور صروف في آخر يوم من
 شهر إبريل منذ نحو سنتين ونحن خرجون معاً من هذه الدار بتقريب الاحتفال
 بعيد التتطف الذهبي :

تم زاد على ذلك قائلًا :

« ترى أنتحق ياسعيد هذا الأكرام وهل لنا حقيقة في مصر والشرق مثل
 هذا المقام — وهل ما فعلناه يستوجب حفلة باهرة كلتي شهدناها يضعها جلالة
 الملك فؤاد تحت رعايته ويرأسها وزير من وزرائه ويشارك فيها الأمراء وسائر الوزراء
 وعظماء البلاد ونوابها وأدباؤها على اختلاف مذاهبيهم ومشاربهم وبيعت اليها سعد على

رغم اعتلال صحته بكلمة يقول فيها ما قاله في المقتطف ومنزاته في مصر وأثره في تقويم
الافهام وتنقيف الازهان»

ثم صمت هنيهة ونحن سائرون . ما وعاد . فاستأنف الكلام بحبيبا بنفسه عما
كان شاكا فيه فقال :

« كلاً — بل هذا الشعب كريم وقادته وكباره وأصحاب الكلمة فيه أكرم .
فهم في خدمة العلم والعمل على نشره في البلاد يعطون ديناراً بدرهم وأخف أن
أكون قد قصرت في أداء واجب الشكر لهم في الحلقة . ولا يخرس اللسان مثل
الشعور العميق بالجميل .»

« ولكن يجب أن نحسن العمل أكثر وإن نستمر على وقف أقلامنا . واهبنا
وأرواحنا في سبيل خدمتهم ولا ندخر وسعاً في تقويم الافهام وتنقيف الازهان كما
قال سعد لنبي موضع ثقتهم ولكي لا يعتقد أحدهم أنه أخطأ في ظنه بنا فنسقط
من المرتبة التي وضعونا فيها وإذا لم يمد الله في أجلنا فتقومون أنتم يا أبناءنا
واخواننا بهذا الواجب .»

هذا ما صحت عليه عزمته بعد تلك الحلقة وذلك الاكرام وهو أن يداوم
الجهاد على رغم الخامسة والسبعين من عمره في خدمة الادب ونشر العلم في هذا
القطر بواسطة المقتطف وسواه من المؤلفات مما كان قد أخذ له العدة وجمع الأهبة .
ولكنه كان يخشى أن لا يمد الله في عمره الى أن يحق أمانيه ويوفي مصر وأبناءها
دين الجليل الذي أسدوه اليه فأوصانا نحن بإيفائه ووضعه في أعناقنا

رسالة المقتطف

حضرة صاحب المعالي سيداتي وسادتي .

مهما اختلفت آراء الكتاب والمفكرين ، وتشعبت مذاهبهم في النظر الى
ماهية التاريخ ، وتحديد العوامل التي تدفع بالحضارة الى الامام . ووصف مظاهر
ال عمران ووجوه ارتقائه ، فلا ريب في أن السكل مجمعون على أن التاريخ في صميمه
إنما هو حديث ارتقاء الفكر البشري وانطلاقه من قيوده وابداعه في ما أتته
فالفكر تغلب الانسان على طوائف الاحياء التي كانت تنازعه البقاء في

ميدان الوجود . وبالفكر تحرر من قيود الاوهام التي كانت تثقل به عن
 النهوض والجرى في مضمار ارقى . وبالفكر سيطر على عناصر الطبيعة ونفذ الى
 مكامن أسرار الحياة . تطالع الى الـ كواكب فتقاس ابعادها واجرامها وحلل عناصرها
 وعين نسبها ومقاديرها . والى الجراثيم فدرس طبائعها ووسائل استخدامها
 واتقانها . والى العقل فكشف عن أصول الفكر والحفظ والغريزة والعاطفة والعادة .
 والى الاحياء فقرر نواويس نشوتها وارتقائها . وبالفكر ايضا تحكم في قوى
 الطبيعة وأخضعها لمطالبه . فطوق الارض بامواج الاثير وجاب البخار على مدن
 طافية . وحلق في الجو بجناح وبغير جناح وتصدى لحالك الظلام فبدد غياهبه
 بأنوار تلبس الليل جلباب النهار . ووصل بين ضفاف الانهر بكبار هي في الحقيقة
 أشعار رائعة قوامها الخيال والذكاء والجمال والحديد



نظرة أيها السادة الى تاريخ نشأة المقتطف . وانطو بالخيال والفكر اثنتين
 وخمسين سنة من تاريخ الشرق نرود أمصاره ونزونا الى أحواله ونمتبع مظاهر تامله
 وبقظته حتى تستقر على رابية في راس بيروت نزل فيها جماعة من عمال الخير
 فأنشأوا معهداً للعلوم الحديثة قال رئيسهم في غايته : في ساحة هذا المعهد تلتقى
 العقول التي تروم الكشف عن أسرار الوجود . والنفوس التي تتطلع الى ادراك
 كنه الحياة ومبدع الحياة . ندرجها على البحث العلمي القائم على الدقة والانصاف
 ونولجها هيكل الحقيقة في موكب من عرائس الافكار . لانعرف للمذهب الديني
 سبيلا يفند علينا غايتنا . ولكننا نجعل لاصول الدين التوهم المكن الأدي
 في كل أعمالنا لاتأزيرد أن نخرج للحياة رجالا تشد العقيدة الراسخة فيهم العقل
 المثقف والرأى الحصيف

في هذا المعهد العلمي المنير نشأ المقتطف وترعرع
 وعلى أقطابه الاعلام تلتقى منشأه العلوم الحديثة وأساليب التفكير الحر
 وفي دورده ومعامله وانديته طبعت نفسها بأن العمران بناء فسيح الرحاب
 يقوم على دعائم كثيرة أقواها وأزمتها دعائم العلم الصحيح والدين التوهم

هناك تسليماً قديماً من النور لشراء في أرجاء الشرق

ولكن مصر كانت منذ أقدم عصور التاريخ ولا تزال منأى للكريم عن الأذى ، فحضنت المنتطف ورحبت به وعطفت عليه ، حين كان سيف الاستبداد مصلماً فوق رقاب الأحرار من أبناء سورية ولبنان ، فنزل المنتطف الديار المصرية على الرحب والسعة ، واتصلت أصوله بترابها الغنية تستمد منها القوة والغذاء . وامتدت فروعه في جوها تدسابق الى أفصح الأجواء تأخذ من الحياة المصرية وتعطيها حتى غدا بتعظيم حكماها وعلمائها وأعلامها منارة تدرج من عاصمتها أنوار العلم على بلدان الشرق

وقد كان المنتطف في كل ذلك رسولا أميناً بين حضارة الشرق وحضارة الغرب . في ميدانه الرحب التفت أعلام العلماء والمفكرين من أبناء الحضارتين . آذا تتفق آراؤهم وأنا مختلف . ريشي المنتطف واقف للعلم بالمرصاد ، يقتطف منه كل طارف وكل تليد حتى غدت بحلته مدرسة سيارة ، ومنارة جواله ، ورابطة تضم أبناء الشرق في وحدة معنوية متينة في زمن عزت فيه أسباب التضامن وفشت عوامل التفرقة والانقسام

وإذا سمحتم لي أيتها السادة أن أتحرد هنيئة من علاقتي الشخصية بالمنتطف وأصحابه لجودت من بدايات السبعين . شخصاً معنوياً أضعه في مكان فرنسيس باكون الفيلسوف الذي نفخ الحياة في الجمعية الملكية الانكليزية وجماعة الانسكلوبيديين الفرنسيين وعلم ان المعرفة تطلب للقوة والسيطرة لا للتأمل والتخيل والتكهن بالغيب ، وقضى على منطق ارسطوطاليس ، وأقام التجربة والامتحان أساساً للعلم ، فكان بذلك رائداً مقداماً شق الطريق أمام العلم الحديث الذي تغلغل آثاره في كل مقومات العمران

الإصلاح في الإسلام

لـرستار : فيليكس فالوى

هذا المقال هو انفصل الاخير من سلسلة محاضرات ألقاها « فيليكس فالوى » فى كلية دارتموث بنيوهامشير الجديدة فى الولايات المتحدة تحت عنوان : « قوى الترقى فى الشرق » .

* *

كان الفيلسوف الألمانى « نيتشه » قد نبه الى مقدار ارتباط مصير الحضارة الأوروبية بالمسألة الآسيوية . فتكلم بلهجة تنم عن الغضب المزوج بالازدراء عن أوروبا التى هى شبه جزيرة بالنسبة للقارة الآسيوية وكيف أنها تدعى السيادة الروحية لمجرد أنها ابتدعت النظام الفنى الحديث . وفى حين لم تدرك شيئاً الى الآن من روح آسيا الذى ابتدع جميع الأفكار الدينية والفلسفية العظيمة التى تؤلف كياننا الأدبى .

وقد أيدت الحوادث منذ ذلك الوقت صدق نظر « نيتشه » وثاقب بصيرته فإن علم الاقتصاد حاول محاولة مرققة فى النزول بجميع الظواهر الاجتماعية الى جعلها مسألة أرقام ومواد انتاج وعلاقات مادية . غير أن الوجوه الأدبية والروحية للسائل الإنسانية كانت لها الغلبة العظيمة على أشباع « كارل ماركس » على اختلاف مذاهبهم وعلى أولئك الاقتصاديين الذين أبوا منذ وقت طويل أن يبالوا بأسياء، لأنها ليست ذات مصانع وهو ما يوجب فى نظرهم عدها همجية . وهما هو الغرب حين تنبه من الحكم الاشتراكى ومن العالم الكاذب بوجوه تبادل المواد قد وقف أمام المسألة الشرقية فى قالب جديد يبعث على القلق . وهى المسألة التى عرضتها للبحث فى البدء أطماع أوروبا المادية وسترتها بلاغة الكليروس من بعد ذلك بسمار المسألة الدينية وصارت فى نهاية الحرب الكبرى مسألة أدبية وروحية تتعلق رأساً بتوازن القوى التاريخية التى تحرك الإنسانية .

ولم يبلغ التاريخ بعد فى أوروبا لسوء الحظ شأواً علم الأديان ولم يرتق اليه . ولا يزال كما كان لم يتحرر من الأوهام التى تصده من أن يفكر تفكيراً « عالمياً »

بدلاً من التماهى فى الغرور العنصرى وهو كبير الخطر على سلام العالم والطمأنينة .
وقد اعتاد المؤرخون الاوروبيون عند الكلام عن المسألة الاوروبية أن يهتموا
بجوها وأصولها الاسيوية . فلم يستعد التاريخ الاوروبى شيئاً من براعة نظرهم
فى أمور الشرق وكمايتهم فى العلم بها . وأعظم الأخطاء التى ارتكبها مشاهير
مؤرخين لدى الحكم على آسيا والاسلام ونتائج السياسة الاوروبية فى آسيا
انما نوضح فى العبارات التالية . أن الاختصاصين فى مسائل الشرق مازالوا إلى
الآن من علماء اللغات الذين يقضون العمر كله تقريباً فى درس نص قديم من
نصوص الشعر الفارسى أو فعل غير قياسى جاء فى أحد المخطوطات الشرقية . على
حين يقتضى الامر بذل المهمة فى استقصاء المصادر الصحيحة لتاريخ آسيا . وهى
المصادر التى تكاد تكون مجهولة فى الغرب ولا تزال إلى الآن غير متداولة بين
الاوربيين الذين تتلمس الاغلبية الكبرى منهم رأيها فى الشرق من العبارات
الجوفاء المفتريات التى أذاعها فيما مضى رواة الاخبار والوقائع من البيزنطيين واللاتينيين
وهم مفضلون فى جامعات الغرب . وما نعلمه عن كاتب أغريقى قديم من الدرجة
العشرين يفوق بكثير جداً ما نعلمه عن أجل المظاهرات السياسية أو الروحية فى
التاريخ الاسبوى

وليس من شك فى أن اللاهوتيين الذين تدخاوا فى المسألة الشرقية مستترين
خلف « الديبلوماسية » والدوائر المالية العالية كانوا بوجه خاص ضحايا جهلهم .
ولم يتناول البحث العلمى النزىه الاسلام والشرق فى أوربا الا فى العهد الاخير .
ولقد بقيت المسألة الشرقية حتى القرن التاسع عشر فى عوز الى وسائل البحث
الكافية وإلى الفكر الاوروبى المتحرر من كل الاوهام الدينية . وساعدت الروايات
التي بنها ذوو الاغراض من مسيحي الشرق على تضليل المرسلين وإيقاعهم فى
الخطأ . وتشهد آداب الاسلام وفلسفته الدينية على التهذيب العظيم لتواعد الاخلاق
والحياة الانسانية عند النخبة المفكرة على الاقل . وهى تلك النخبة التى تدعو
بقوة الى الاخاء بين الناس جميعاً بعد إذ صفت عقيدتها ورجعت الى مبادئ
الاسلام الاصلية البسيطة فى سمو ونبل . ولم يكن قد بقي فى نفوس خيار المسلمين

من قبل الحرب أى أثر لكره المسيحيين . ونعى بمخيار المسلمين أولئك الذين اعتادوا أن يطلبوا العلم فى جامعات الغرب وأن يأتلفوا ائتملا فؤادياً برقتائهم الغربيين فى كل مكان لا يمنع فيه الوهم المتعاق بالوان الشعوب من جلوس الاوربيين مع الشرقيين على مائدة واحدة . وقد حل محل الكراهة القديمة للمسيحية اربعة فى الاشتراك فى العمل الفكرى الانسانى تحت لواء العلم . واذا كان المسلمون المفكرون يحددون اليوم ارشاد الغرب الادبى، واذا كان فى العالم الاسلامى عناصر ساخطة تعرض عن النظام الاوروبى، فان انطاطاً فى ذلك واقع على أولئك الذين لم يعرفوا أن يأسروا ارادة الشباب المسلم المتحمس والمستعد للاهتداء والانتقاد لعلم الغرب .



أما الاصلاح فى الاسلام فقد بوشر فى دوائر شتى . وانما ترجع محاولات الاصلاح التى شملت الفلسفة الدينية والفقه والاخلاق الى أصحاب النظر بالعقل من المعتزلة فى القرن الحادى عشر . ومنذ ذلك الوقت لم يقف سير الاسلام فى طريق التطور . غير أن تجارب الاصلاح التى حققتها أصحاب المذاهب الاسلامية وان كانوا جد مخلصين فلم تؤت تجاربهم بنار عملية دائمة الا فيما ندر . وكانت غاية المفكرين ورؤساء الفرق الاسلامية والمرابطين (!) أو سواد المؤمنين على كثرتهم ينحصر فى تصفية العقائد الدينية وتهذيب الطباع والعمادات ورفع المستوى انما لى لبعض شعوب الشرق التى لا تزال على الفطرة . الا ان تقدم الاسلام الى الامام كان يتطلب شيئاً آخر . فان كل اصلاح انسانى يدخل على النظام الاسلامية لا يوفق الى الاخذ به فى كل أنحاء العالم الاسلامى الا اذا توفر فيه بديا شرطان جوهرىان . أولا : ألا يكون صادراً تحت ضغط أوربا . ثانياً : أن يأتى من أمة اسلامية قوية حية ومستتابة . وقد فشل أول اصلاح تركى — التنظيمات — الذى أسس تحت تأثير المبادئ الفرنسية سنة ١٨٣٩ بقانون « جولهان » لأن الاخذ به كان تحت ضغط أوربا ، وكان يقول بالتدخل الاجنبى بدلاً من أن يبطله

نهائياً (١) وقتئذ، وحاول انكليزى مستنير هو خير مؤرخ لحياة الاسلام أنجبته أوروبا ونعى به « دافيد أوركار » أن يحمل « الدبلوماسية » الأوروبية على العدول عن المذاهب الخاطئة التى تفرض على تركيا اصطلاحات تضعها وزارات خارجية لوندرا وباريس وبطرسبرج . واعترض بشدة على تطبيق القواعد الأوروبية تطبيقاً أعمى على الشرق ودعا بقوة الى المحافظة على التقاليد الاسلامية الصالحة التى امتدح حيويتها ، وأشار « أوركار » الى قبول الدولة التركية في حلقة النظام الدولى الاوروبى .

وهو مقتنع أشد الاقتناع بان النجاح فى منع التدخل الاجنبى الدائم فى شئونها يعيد تركيا عنصراً عظيم النفع فى التوازن العالمى ويجعلها تواصل بنجاح مهمتها التاريخية كمصدر لبث المبادئ الغربية فى آسيا . ولبت « أوركار » طول المدة من سنة ١٨٣٠ إلى سنة ١٨٦٠ ينصح بتنحى الدول الأوروبية المطلق عن التدخل فى مسألة الاصلاحات لكي يتاح تحقيق التطور التاريخى الذى تستحيل به الشعوب الاسلامية إلى دول حديثة تحقيقاً طبيعياً بالتعاون مع الاوربيين المتنورين والمطلعين على أمور الشرق الذين يختارون لكفاياتهم والذين يكونون بمنزل عن كل تدخل دبلوماسى وكل دسيسة دولية . وكانت خير نصيحة قدمها الى الدول الأوروبية هى أن تكل أمر التفكير فى الاصلاحات وتحقيقها الى الممثلين الحقيقيين لعلم الشرق والغرب بدلا من أن يكون ذلك وسيلة للمناورة فى أيدي الساسة . ولا تزال هذه النصيحة حافظة بقيمتها الى الان

وقد كان « أوركار » أول من أدرك أن المسألة التركية بالشكل الذى يطرحها به خصوم الاسلام على أوروبا إنما هي حيلة يراد منها اثارة المذايح التى يتذرع بها للاصطياد فى الماء العكر المسألة الشرقية . وقد غاب عن الدبلوماسيين أن روح المسألة إنما هو قلب العلاقات بين أوروبا وآسيا رأساً على عقب لكي يتاح لدين شريف وعناصر بشرية جليلة أن تحل المسائل الحيوية لوجودها فى حمى من الدسائس الخارجية .

(١) راجع بحثى « أوروبا فى آسيا العنرى » (الطبعة الثانية) فى مطبعة « بوكار » باريس سنة ١٩٢٢ .

على أن أولئك الذين يؤكدون أن الاسلام مستغرق في عقائده وان من العبث أن يبذل أى مجهود في سبيل تحريره من التقاليد الموروثة المناقضة لمطالب الحياة الحديثة، ينسون أن لاصحة للنظرية القائلة بجمود الاسلام وانه لم يسلم في كل عصر من هزة الحركات الفكرية في التاريخ. ويبدو في تشريع الذي يراد اصلاحه اليوم أثر القانون الروماني. وفي اتساع أحكامه الدينية نفسها أثر الفكرة الهيلينية في حين اقتبست فلسفته الآراء الأفلاطونية والهندية. وهذه الظاهرة الدالة على تأثر الاسلام بعبادىء الأمم الأخرى قد وضحتها ببراعة كبير . المشتغلين بالمسائل الاسلامية في عصرنا ولنغنى به الاستاذ جوزيهر من بودابست في دروسه المشهورة عن الاسلام. فقد برهن «جوزيهر» على أن الاسلام أظهر استعدادا للاندماج العضوى وهضم العناصر الأجنبية في كل حقب تاريخه. قال ان من الخطأ اعتبار الاسلام مسئولا عن وجود النقص الأدبية والركود الفكرى اللذين ينسبان الى الاستعدادات الجنسية والمناخ . وما يزال الاسلام من الوجهة الادبية امبراطور به عالمية جديدة بكل اهتمام المفكرين . ألا ان هناك فرقا لاحدله بين الاسلام من وجهة العقائد والاسلام من وجهة التاريخ. وجلى أن ترقى الاسلام في المستقبل يرتبط بالموقف الذى تقفه بازائه أوروبا وأميركا .

وفي أساس الاسلام يوجد المبدأ الانتخابى الذى ينص عليه «قانون الاجماع» وهو مراعاة الأغلبية للمسلمين على كل اقتراح جديد. قال «جوزيهر»: ان مبدأ الاجماع يشتمل في جوهره القدرة التى تعين الاسلام على أن يتحرك بحرية وان يتطور. وان فيه لوسيلة مناسبة لكبح الطغيان والسلطة الفردية. وقد ثبت في الماضى على الأقل انه العامل الاوى في قابلية الاسلام على التكيف. فما الذى يمكن أن يثمره في المستقبل تطبيقه الموافق ؟ »

ان العقيدة الاسلامية الصافية تعتبر كل فكرة جديدة متفقة كل الاتفاق مع تعليم النبي الجوهري اذا حازت موافقة الاغلبية المسلمة. والمراد من مبدأ الاجماع « أن كل ما تتقبله الجمعية المسلمة على أنه حق وعدل ينبغى أن يعتبر حقا وعدلا . وكل ما هو حائز موافقة المسلمين المعاصرة فهو عدل ويتمتع الاعتراف بمبادئه ولا

يكون عدلاً إلا في القالب الذي يعطيه إياه الأجماع ، وما يقره الشعور العام للجماعة بأنه حجة وثقة في أمور الدين ، سواء أكان رجلاً أو كتاباً ، يكون كذلك لا بقرار تصدره هيئة من علماء الدين بل برأى عام يشبه أن يكون لا تنبيهياً بحيث يعتبر في مجموعته لا يجوز عليه الخطأ (١)

ولقد صار الاسلام — الذي كان في الاصل جمعية دينية صغيرة في مكة ونظاماً سياسياً فطرياً في المدينة — امبراطورية عالمية قامت في البدء على السيف مثل الامبراطورية الرومانية المقدسة ثم قامت من بعد تجزؤ الممالك العربية على الشعور السامى الذى يجعل من المسلمين أعظم اخوة انسانية في العالم . وكان محمد يرى أن سر اتحاد العناصر البشرية إنما هو شعور الجميع بالامتثال لله وتملقهم به . ويقول القرآن « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً »

ولقد بقيت هذه المبادئ النبيلة زمناً طويلاً تعترض العادات الموروثة للشعوب التي اتبعت محمداً وصار الاسلام دين الاقطاع لمجرد أن النظام الاقطاعى كان يسود الشرق كما كان يسود أوروبا وجعل أصحاب الاراضى في الاسلام يوفقون بين الدين والاحتياجات المنطبقة على مصلحتهم .

وكان من تأثيرات استخدام المجوس لعهد الخلفاء العباسيين من بعد سقوط بنى أمية الذى نسب اليهم التطرف في العادات الدنيوية ان فرضت على الاسلام مبادئ الحكم الاوتوقراطى (١)

وينبغى أن تنحصر مهمة مصلحى الشرق في تحرير الاسلام من عبودية الروح اللاهوتية المحافظة

وفرضت على الاسلام مبادئ الحكم الاوتوقراطى بتأثير استخدام المجوس لعهد بنى العباس الذين تولوا الخلافة بعد سقوط الامويين المتهمين في التاريخ بالعادات الدنيوية المتطرفة (٢)

(١) راجع كتاب « قواعد الاسلام » تأليف جولزهر (الطبعة الفرنسية) .

(٢) مكس فيبر

وأنا ينبغي أن يكون تحرير الاسلام من عبودية الروح اللاهوتية المحافظة وقيادته الى العالم عن طريق التربية هو كل ما تشمله مهمة المصلحين في الشرق ، وأن ينحصر مبدأ أولئك الذين يتحملون مسئولية السياسة الشرقية في أوروبا وأمريكا في ألا يشجعوا معارضة الدينين وألا ينقادوا للحزب الديني المتشدد. ويكاد يكون الاسلام قد تجاوز الطور اللاهوتي في ترقيه ولا يزال يحتاج الى تغييرات اجتماعية واقتصادية كثيرة لكي يؤسس أو يعيد تطور التعاليم الاسلامية الصحيحة التي وضعها محمد. دين المساواة بين جميع الناس.

وليس في روح الاسلام الصحيحة ما لا يستطيع الاوربي المذهب أن يقبله . وهو ما برهن عليه السيد أمير علي — من اكبر علماء المسلمين الاحياء — ببراعة تامة . هذا المفكر الجليل الذي اجتمع له اكثر من أى مفكر معاصر آخر عالم الشرق التاريخي وعلم الغرب ، قد نشر طبعة جديدة من كتابه عن الاسلام وأضاف اليها فصلاً جديداً ذا صبغة حاضرة . وقد صور فيه تصويراً صادقاً مؤثراً الكفاح الحائل بين مبادئ الترقى ومبادئ المحافظة وذوى الجود . ذلك الكفاح الذى هز الاسلام من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر والذى انتهى بنفوز التقاليد برغم تعاليم الرسول الاصلية (١)

ويستخلص من بيان السيد أمير علي الذى بسط بأوضح طريقة أن القرن العاشر كان عصر المأساة الكبرى لأوروبا وآسيا . ولا يزال يبدو لي كأشأم حقبة بالنسبة لمصائر العالم وعلى هذا الاعتبار نشأت من وقت هجرة الشعوب ونزوحها العظيم من مواطنها كل المسائل الديبلوماسية والعنصرية التى تواجهنا اليوم؟ وقد أيد السيد أمير علي هذا الرأي، ولكن فى توسع غريب . وبينما كانت القارة الاوربية قد مزقتها الشهوات المادية الناشئة عن الاحتياجات الحيوانية للعناصر التى كانت تتنافس فى القرن العاشر على المراعى وأماكن الاقامة تحت المناخ الجيد الوحيد المعروف، كانت القارة الاسيوية التى غمرها الاسلام وكانت فى حالة بحث فكرى مسرحاً لكفاح شبيه بالكفاح الذى كان دائراً في أوروبا الا أنه كان يضاف اليه معركة عنيفة حول مسألة الخير والشر .

(١) كتاب « روح الاسلام » للنزيل السيد أمير علي طبعة « كرسنوفر » بلندن

وبينما كانت أوروبا تتقاتل على ازرق كانت آسيا المسلمة التي بلغت شأوا الحضارة السامية تشهد المراك الديني الفلسفي الذي قام حول حقيقة رسالة محمد بين المعتزلة والمحافظين من أنصار العقائد الأولى . وكان أصحاب النظر بالعقل يطلبون تأويلاً حديثاً لتعاليم الرسول ويبنون ذلك على مبدأ المسؤولية الذاتية للإنسان وحرية في الحكم بين الخير والشر وتركه يهتدى بالله من الطريق المستقيم باختياره الأدبي . وقد كثر أنصار هذه النظرية الفلسفية والدينية منذ نشأة مدرسة المدينة، إلا أنه بمقدار ما استولى الإسلام على عناصر مختلفة ذات عقلية محافظة قليلة التساهل استولت المذهبية المتشددة على تلك العناصر الجديدة وانتهى الأمر بذهب النظر بالعقل في الإسلام إلى الهزيمة التامة في نهاية أربعة قرون كفح فيها كفاح المستقبل

وقد وصف السيد أمير على الأطوار الرئيسية لهذه المأساة الفكرية الإسلامية مبرهننا بطريقة لا تقبل الجدل كيف أن العناصر المتعصبة التي دخلت في الدين الإسلامي بعقلية ورثت التشدد والمحافظة قد أخرت ترقى الإسلام الفكري . . وكان خير مفكرى الإسلام وأكبر علمائه فيما بين القرن العاشر والقرن الرابع عشر يؤيدون حرية الفكر حتى من كان منهم على مذهب المتصوف الكبير الغزالي، ويؤثرون النظر بالعقل . وكان الغزالي يكفح أصحاب النظر بالعقل من الفلاسفة وفي الوقت نفسه يستنكر التعصب ويدعو المتعصبين بأصحاب الإسلام الكاذبين وباسم الفكر الإنساني جاهد ضد جماعة « الموالى » وخدام الدين من دعاة التأخر يبراهين جليلة وأدلة حديثة عمرية . إلا أن هذا العالم الذي كان « باسكال » الإسلام ساعد دون اختياره على هزيمة قضية الترقى العلمي في الشرق كذلك استحوزت على التعليم الإسلامي الروح المدرسية المحافظة « سكولاستيك » ابتداء من القرن الرابع عشر أى في الوقت نفسه الذي كانت فيه المدرسة السكولاستيك في أوروبا في طور الاحتضار وكان العلم الحديث بخطوفه الخطوات الأولى في أوروبا . وقد افضى الكفاح الذي قام بين « أبى حنيفة » و« ابن حنبل » على سيطرة المذاهب الدينية التي جمعت بها الروح العلمية في الإسلام

تلك الروح الباهرة التي لا يزال الى اليوم موضع اعجاب الذين يدرسون العلوم
الاسلامية كالجغرافيا والطب والرياضيات التي ازهرت قرطبة واشبيلية وفي
بغداد والبصرة ودمشق والقاهرة . وقد عدد السيد أمير علي الشخصيات العلمية
الكبيرة في الاسلام والمبتدعات الفكرية العظيمة للحضارة الاسلامية وهو
ما يؤيده كبار الباحثين في أوروبا . فان عالماً كاثوليكياً كبيراً في اسبانيا اهتدى
الى المصدر الاسلامي الذي استمد منه أنظم ديوان شعري في الكاثوليكية وتريد به
« الكومديا الآلهية » لدانتى . الا ان سيطرة التقاليد المصطنعة ثقلت وطأتها
على العالم الاسلامي لسوء حظ آسيا وأوروبا ومنذ عهد النهضة لم يعد يشترك في
حركة تطور العلوم . واتفق له ما اتفق لأوروبا في القرون الوسطى حين قبرت قضية
الحرية الفكرية بأزاء المبدأ الاكبري

قرونا عديدة من الجود الفكري كانت نتيجة ذلك الكفاح الذي انتهى
بمخدلان حرية الفكر في الاسلام أمام اللاهوتيين المحافظين . ومن عادة المؤرخين
الأوروبيين ومعهم فريق من رواد الفارسيين والعرب والهنود أن يلقوا مسؤولية
ذلك على عنصر كانت مزايا الحضارة صاحبة السيطرة على آسيا قروناً طويلة .
ولم يسلم السيد أمير علي نفسه من هذه العادة لاني « تاريخ العرب في الاندلس »
ولاني « روح الاسلام » . فكيف كان من الممكن أن يسلم منها علماء أوربيين
مثل المأسوف عليه ادوار . ج . برون أو الأستاذ مارجوليوث وقد فتنهم سحر
الحضارات الأوروبية العديدة فجعلوها مادة علمهم الواسع العجيب ولم يروا الا وجهاً
واحداً لملاقات الشعب الفارسي أو الشعب العربي بالعنصر الذي أسميته بالعنصر
الاكثر تعرضاً للتهمة في التاريخ .

يعزو التاريخ الى الاثر اذ دمار الحضارة الاسلامية . ولا اساس لهذه التهمة
تاريخياً وان كان بعض الوقائع يعطيها ظاهراً من الحقيقة . لانه اذا بدت تلك
الوقائع صحيحة حين تؤخذ على حدة ، كان ذلك دليلاً على انها المنحصر وانما افترت
تفسيراً سيئاً . ولئن تبنى العنصر التركي التاريخية قابلة للتحقيق

و يؤكد البعض ان ذلك العنصر لم يبتدع ولم يعمل ولم ينتج شيئاً في غضون
سيطرته السياسية والحربية الطويلة . لكن هل يجمل ذلك البعض الاحوال
التي احتوى فيها تاريخ الاتراك مؤسسى الدول في الصين وفي الهند وفي
آسيا ؟ حقاً أن العنصر التركي لم يمتاز بأية ميزة في دائرة الفكر وعلى الأقل لم
يكن له نبوغ الابتكار .

ولكن اذا كان حق العنصر في الحياة الوطنية يرتبط بميزة الخلق في الفكر
المجرد لكان مركز بعض العناصر الهامة في أوروبا غير معين . انما يأخذ كل
عنصر دوره ووظيفته طبقاً لاستعداداته الخاصة ولا يمكن أن نلوم رجلاً عظيماً من
رجال الاعمال على أنه لم يبتدع شيئاً في الادب أو الفن . ويتدارن البعض بين
الرومانيين من الوجهة الدولية وبين العنصر الانكليزي السكوني . على
أنهم أكثر شبيهاً بالأتراك مما نظن . فإن الفكر الروماني والفكر التركي قد اتجاها
جميعاً الى العمل السياسي ولم ينظرا الى الاشياء الفنية الا من ناحية الزينة والأبهة .
وكما أن الرومانيين اقتبسوا أفكارهم من مصادر اغريقية ومصرية ووقفوا بينها
وبين احتياجاتهم والمستوى الذي بلغوه ، فإن الاتراك قد أخذوا الحضارات
الاسلامية والفارسية والعربية والهندية التي اتصلوا بها واعتنقوها . وكان الدور
الذي قاموا به ينحصر في تنظيم بلدان عديدة وحكمها كما فعل الرومانيون بالضبط
بوسائل أخرى في بيئة بشرية تختلف كل الاختلاف عن الوسط التركي الا أنهم
مثلوا ذلك الدور حيناً طويلاً بنجاح وبفضل تجريداتهم الحربية تعارفت
الحضارات الاسيوية المختلفة وامتزجت لكي تتألف منها حضارة اسلامية
موجودة الآن ولن تتم الا اذا ظهرت في آسيا الحضارة الغربية بواسطة الفرنسيين
والانكليز الذين يساعدون على نشرها بطريقة عملية فعالة ومتسعة . ولا ينقص
الاسلام غير التربية الحديثة والعلم . ينقصه ان يخلع عنه ثوب الاوهام والتقاليد
القديم وصيغ حياته الفكرية التي اتقضى زمانها .

إن أولئك الذين يعتقدون أن الاتراك في العالم الاسلامي هم العنصر الأقل
استعداداً للإصلاح الذي يدعو اليه مع السيد أمير تلي خيار المسلمين جميعاً ، انما هم

ضحايا الاكذوبة التي تعمد اذاعتها عن الاتراك في البدء جماعة المغلوبين على
أمرهم في آسيا الايرانية ومن بعدهم أولئك الذين يطمحون منذ قرنين الى أن يكونوا
ورثاء الاتراك في دولتهم. على حين أن عقلية الاتراك العملية هي الوحيدة في
الاسلام التي تستطيع أن تعرض عن الصيغ اللاهوتية القديمة وتكون في جانب
الاصلاحات، على شريطة ألا تكون ذريعة للتدخل الاجنبي في حكومتهم. أن
التعصب التركي المزعوم إنما هو من صنع التصور الاوروبي. فليس هناك عنصر
اكثر طواعية لتعاليم التسامح الديني من الاتراك. والاسلام مثل كل دين آخر
اتخذ صيغة التعصب في كل بيئة كان الذين أسلموا فيها ذوى طبيعة متعصبة.
ألم تكن الديانة الكاثوليكية التي كانت متعصبة في أسبانيا متسامحة دائماً في الجبر؟
وقد كانت في يد آل هابسبورج أداة اضطهاد ديني إلا أنها لم تتطور ببطء الا حينما
ابتدأ الفكر العام يترقى في أوربا.

وانما كان التعصب الديني في تركيا من الامور التي تنسب الى أسباب
سياسية أو اجتماعية ويندر أن تنسب الى الدين. ولنذكر دائماً ملاحظات «رنان»
عن الأسباب العنصرية للتعصب السامي.

وظاهر أن الدول الغربية تعول بوجه خاص على فتوحاتها الاقتصادية
في الشرق. إلا أنه لا قيمة كبيرة لهذه الفتوحات من الناحية العملية لانه ليس في
وسع المزايا التي تأتي على الصعيد من المبادئ الحديثة في حقوق الانسان أن تستثمر
في هدوء وطمأنينة. ولم تعد القوات الحربية تكفي لنفع القوى الروحية. ولا يمكن
أن يكون المركز الاسلامي الاقتصادي متقيداً حقاً إلا للدول التي تراعى تلك
القوى الروحية. في الشرق لا يزال يتألف من الروحي والمادي «كلاً» عضوياً.
وفي أراضى الاسلام الثروات الجوهرية في المواد الأولية وليس المحرك العظيم
للسياسة العالمية الحديثة — البترول — غزيراً إلا في الشرق. ولا بد من ترسيم
سياسة الفتوحات الادبية للوصول الى الاستحواز بصفة فعلية على موارد العالم
الاسلامي الاقتصادية لمصلحة العالم بأسره. ولن تنفض الحرب العنيفة ضد الاسلام
سواء أكانت على الورق، تقوم بها جازان اكبركية، أم في ميدان القتال بالاسلحة

الحديثة الا الى زيادة الارتباك الاقتصادى فى العالم وهدم كل سبب للنهوض .
وعلى النقيض من ذلك يكون الاعتراف برغبات الاسلام كقوة دولية ذات سلطان
أدبى وسياسى عظيم . فانه يتيح للقوى المدبرة للاقتصاد العالمى العمل فى آسيا
ولكن طبقا لمبادئ المساواة فى المعاملة ومبدأ الباب المفتوح وهما الباعث على
عظمة القرن التاسع عشر الاقتصادية

فان مبدأ الباب المفتوح هو الأداة الكبرى التى يمكن أن يحرك الولايات
المتحدة الأمريكية الى ترسيم سياسة عدالة بازاء الاسلام ونحن لانرى الى الآن
فى أمريكا أى أثر لسياسة اسلامية تنم عن الذكاء . فان المرسلين
الأمريكيين بدعائهم المتعصبة ضد الاسلام يضللون نظر القارئين بأعظم قوة
اقتصادية شهدوها تاريخ العالم . وليس فى وسع الولايات المتحدة فى آخر الامر
أن تعرض عن وضع برنامج لسياستها الاسلامية برغم انها لانهكم مسلمين الا فى
الفيليبين . ذلك لان مساعدتها الاقتصادية ضرورية لهيضة الشرق كما هى لازمة
لهيضة الغرب . فاذا ارتضت ألا تصنى الا لصوت الحكمة وأن تعرض عن
اتباع أولئك الذين يبذرون فى العالم بذور الاحقاد الدينية فانها لا تلبث أن تصير
محبوبة فى الشرق الاسلامى كما اتفق لها فى الصين حين تولت الدفاع عن سلامة
البلاد فحصلت على مركز إقتصادى عظيم

ان قانون الاسلام الادبى صارم فى تحريم العذر حتى بازاء غير المسلم . وهو
ما برهن عليه « جولز يهر » وان توطيد السلم فى الشرق لا يتطلب مطلقا استعمال
الطرائق الضيقة التى تتخذ ضده بنجاح لا جدوى منه انما يكفى التقرب من
الاسلام بالنية الطيبة نفسها وبالارادة الحسنة ذاتها اللتين كان يظهرهما محمد عن
طواعية نحو المسيحيين واليهود فى عصره .

أما الاعتماد فى الشرق على حزب ضد حزب آخر فانها سياسة خبيثة عقيمة
لان الوحدة الادبية للاسلام تؤيد من الوجهة الاقتصادية الاصلاح اللازم لترقى
آسيا المادى .

فهرست

ص	
٩١٣	علاقة الانسان بالله :
٩٢٥	الامواج والشاطئ : قطعة شعرية
٩٢٦	الادب العربي
٩٢٩	التصوف : بحث تحاميل انتقادي
٩٣٥	الحياة والموت : قصيدة
٩٤٥	مذكرات « أنا »
٩٥١	الصهيونية
٩٥٦	رحلة في بلاد الواقع
٩٦٠	الخطيئة . قطعة شعرية
٩٦١	النقد والتأليف : اعجاز القرآن — ٩٦٨ — تاريخ سوريا ولبنان —
٩٧٢	— جبل قاف
٩٧٩	بين الصحف والمجلات : ترجمة المصطلحات العلمية
٩٩٧	الموسيقى العربية والموسيقى الغربية
١٠٠٣	لماذا أحدث
١٠٠٦	جمعية بحث العلوم الحادثة
١٠٠٨	اختزال الكتابة باللغة العربية
١٠١٢	الدكتور صروف : مقتطفات مما قيل في حقلة تأييده
١٠٢٨	الاصلاح في الاسلام : مترجمة عن فيليكس قالوى عبد الحميد سالم

اسماعيل مظهر

حسن كامل الصيرفي

أديب

عبد اللطيف الطيباوي

جميل صدق الزهاوي

.....

عمر عنایت

حسين محمود

عبد اللطيف ثابت

عبد اللطيف ثابت

عبد اللطيف ثابت

منير الحسامي

بندلي البيلوفي

ط . ه . حنين

.....